

إهداء من

مكتبة
أ.د. محمد عبد الحميد عيسى

المستشرق الاسباني
فرانثيسكو قوديرة

من

التاريخ السياسي لخرب الأنكلس

تقديم ودراسة وترجمة

الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

بكلية التربية - جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى القائدين العظمين

موسى بن نصير

وطارق بن زياد

إلى تلك الأرواح الخالدة التى حملت رسالة الاسلام إلى
أرض الأندلس

وإلى تلك الامة الاندلسية العظيمة التى مازالت حية فى
نفوسنا رغم مرور ٥٠٠ عاما على ضياع الأندلس

أهدى هذه السطور

الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

مكتبة

أ.د. محمد عبد الحميد عيسى

غرب الأندلس

مقدمة

يعد اقليم الغرب Al Garbe فى الاندلس أحد الاقاليم الاساسية التى شهدت أحداثا جساما طوال العصر الاسلامى وكانت له خاصيته بدءا من الفتح الاسلامى ، وحتى تكونت فى الجزء الأكبر منه دولة البرتغال الحالية .

ولقد ازدهر هذا الاقليم حضاريا بصورة جليلة ، ونمت فيه عدة مدن هامة منها ماردة وبطليوس ، باجة ، وشلب ، وبابرة وشنترية وأشبونة وأكشونية وغيرها من المدن التى انجبت عظماء الأدباء والمفكرين والعلماء .

وإلى جانب هذا الأزدهار الحضارى شهد اقليم الغرب الكثير من الاحداث السياسية والثورات والقلقل حتى أنه قد جذب انتباه المؤرخين الاسبان فخصوه بالمؤلفات ، وركزوا عليه الدراسات والابحاث ومن ذلك تلك الدراسة التى أعدها المستشرق الاسبانى المعروف فرانثيسكو قوديرة Francisco Codera والتى يسعدنى تقديمها إلى قراء العربية ممهدا لها بدراسة مختصرة لعل فيها بعض الفائدة ، والله ولى التوفيق

د. محمد عبد الحميد عيسى

دراسة تمهيدية

معنى غروب الأندلس

يقسم المرقى بلاد الأندلس إلى قسمين أساسيين هما الأندلس الغربى والآخر شرقى * فالغربى منهما ما جرت اوديته إلى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمرية * ^(١) . كما يكرر ذلك نقلا عن كتابات اندلسية فقدت ولم تصل إلينا حتى الآن ، ويحدد الاستاذ الدكتور حسين مؤنس بأنه كل ما يلى اشبيلية غربا إلى المحيط ... وفيه البرتغال كلها ، وقد كان داخلا فى زمام العروبة منذ الفتح إلى أواخر دولة الموحدين * ^(٢) .

الفتح الاسلامى لغرب الأندلس :

اتجه المسلمون لفتح الأندلس بعد تمكنهم من استكمال الفتح الاسلامى لبلاد المغرب فقام موسى بن نصير رضى الله عنه بإرسال بعض الحملات الاستكشافية تمكنت من الاطلاع على عورات البلاد الاندلسية والتأكد من إمكانية القيام بعمل عسكري ناجح ضد هذه البلاد ، ثم ارسل بعد ذلك قائده الفذ طارق بن زياد على رأس جيش صغير لا يتجاوز ما بين سبعة آلاف مقاتل وأثنى عشر الف مقاتل فقط ^(٣) .

حقق طارق بن زياد انتصارا حاسما على القوط فى معركة " وادى لكه " عام ٩٢ هـ / ٧١١م تمكن به من تحطيم عماد المقاومة العسكرية لدولة القوط الغربيين فى اسبانيا ، وفتح الباب واسعا امام المسلمين لفتح باقى انحاء شبه الجزيرة الايبيرية حتى ان الرازى قد صاغ ذلك فى عبارة جامعة عند تعليقه على هذه المعركة الحاسمة فقال " وفتح للمسلمين الأندلس " ^(٤)

لكن هذا النصر لم يكن يعنى زوال سلطة القوط كاملة من كل أنحاء شبه الجزيرة بحيث

سارع الزعماء والقادة إلى التجمع مرة ثانية فى العاصمة طليطلة " لللملة قواهم واعادة تكوين جيشهم " (٥) . . ومن ثم كان ضروريا أن يتجه طارق بن زياد إلى طليطلة العاصمة مباشرة دون ان يتجه غربا أو شرقا لكي يحقق الهدف الاساسى الذى نصحه به خوليان حاكم سبته وهو عدم منح الفرصة مرة أخرى للقوط لكي يتجمعوا ويتوحدوا فقال له : " لقد فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاقصد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابى مهرة ، ففرق جيوشك معهم فى البلاد ، وأعد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم ، فاشغل القوم عن النظر ، فى أمرهم " (٦) .

وجه طارق بن زياد بعض فرق جيشه لفتح غرناطة وقرطبة وبعض أجزاء جنوب شرق الأندلس ، لكنه لم يوجه أى جزء من جيوشه لغرب الأندلس .

عبر موسى بن نصير إلى الأندلس فى شهر رمضان من عام ٩٣ هـ يونيه ٧١٢ م فى جيش عظيم يربو عدده على ثمانية عشر ألفا من المقاتلين المسلمين جليهم من العرب ، وكان فيهم اشراف القوم وعدد من التابعين رضوان الله عليهم وكان موضع عبوره من سبته إلى الجزيرة الخضراء أو قريبا منها فى مكان عرف باسم " مرسى موسى " (٧) . وهناك توافقت إليه الجنود ، وتجمعت لديه القوات براياتها ، وأسس هناك مسجدا لعله أول مسجد قام المسلمون ببنائه فى الأندلس عرف باسم مسجد الرايات حيث كان مقرا لاجتماعات موسى بن نصير مع أصحاب راياته للتشاور (٨) .

لم يتجه موسى بن نصير إلى الطريق الذى أخذه من قبله قائدة طارق بن زياد ، وإنما سأل عن المدائن التى لم يفتحها طارق ، والمناطق التى يمكن له ان يقوم بالجهاد فيها ، فذله الأدلاء على اتجاه غرب الأندلس فأخذ يستعد لفتح هذه المناطق ذات المدن العظيمة ، والتحصينات القوية ، تمكن من استدراج الأدلاء الاسبان من اصحاب يوليان حين قال لهم : ما كنت اسلك طريق طارق ، ولا اقفوا أثره فقال له العلوج الأدلاء : نحن نسلك بك طريقا هو أشرف من طريقه ، وذلك على مدائن هى أعظم خطرا ، وأعظم خطبا وأوسع غنما من مغانمه لم تفتح

بعد ، يفتحها الله على يديك فملى سرورا (٩) .

هوساى بن نصير وفتح الغرب الأندلسى :

اتجه موسى بن نصير بجيوشه إلى مدينة شنونة ففتحها عنوة والقوا إليه بأيديهم ، ومنها سار إلى مدينة قرمونة ، وليس بالاندلس أحصن منها ، ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال . فعمد موسى بن نصير إلى الحيلة ، حيث سبقه إلى المدينة بعض رجال يليان ، وتمكنوا من دخولها على أساس أنهم قلول منهزمة من الجيش القوطى ، وتمكنت هذه الجماعة من الإيقاع بالحرس فى الوقت الذى اقترب فيه موسى وجيشه ليلا من المدينة ، وبذلك تمكن من فتحها .

ومن مدينة قرمونة اتجه موسى بن نصير إلى أشبيلية ، وقام بحصارها وكانت هذه المدينة كما يصفها المقرئ " من أعظم مدائن الأندلس شأنا وأعجبها بنيانا ، وأكثرها آثارا ، وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الأندلس حولوا السلطات إلى طليطلة وبقي رؤساء الدين في أشبيلية " (١٠) .

ظل موسى على حصار مدينة اشبيلية عدة أشهر حتى تمكن المسلمون من فتحها وينقل الدكتور سالم عن المستشرق الاسبانى سيمونيت ان ذلك قد تم بمساعدة من أسقف المدينة والجالية اليهودية (١١) ولقد هربت حاميتها الاسبانية الى مدينة باجة وقام موسى بن نصير بضم يهود المدينة الى قصبته (١٢) ومعهم بعض المسلمين ثم سار الى مدينة ماردة اهم مدن اقليم غرب الاندلس فى ذلك الحين لانها كانت ايضاً دار بعض ملوك الاندلس ، ذات آثار وقنطرة وقصور وكنائس تفوق الوصف (١٣) وكذلك كانت ماردة من أمنع معاقل استرامادورا Extra-ma dura ومن أعظم مدن اسبانيا فى العصر الرومانى اذ أسسها الامبراطور اغسطس قيصر سنة ٢٥ ق . م ، وجعلها عاصمة لاقليم لشدانية Lusitania ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية فى اسبانيا حتى اصبحت تعرف برومة اسبانيا La Roma de Espana (١٤).

ولقد قاومت هذه المدينة مقاومة شديدة ، وفقد المسلمون كثيراً من الشهداء وخاصة جماعة

المسلمين الذين تقدموا فى حماية احدى الدبابات التى صنعوها لكى ينقبوا سور المدينة واستشهد تحت دباباتهم ، ودام حصار المدينة مدة طويلة حتى اضطر سكانها الى عقد صلح مع موسى بن نصير من شروطه ان تكون للمسلمين اموال القتلى من النصارى ، وأموال الفارين الذين هربوا الى جليقة فى الشمال ، وأموال الكنائس وحليها وذلك يوم عيد الفطر ٩٤ هـ وفى تلك الاثناء تجمع فى مدينة اشبيلية عدد من الفارين من القوط وامكنهم الاستيلاء على المدينة من حاميتها الاسلامية ، وقتلوا من المسلمين حوالى ثمانين رجلاً وهرب الباقون الى موسى بن نصير الذى ما ان انتهى من فتح مدينة ماردة حتى وجه اليهم ابنه عبد العزيز الذى تمكن من الانتصار على المتمردين القوط وان يعيد المدينة الى حوزة المسلمين ، كما تمكن من فتح لبلة وماجاورها فاستقامت الامور هناك ، وعلا السلام ، واتجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوال من عام ٩٤ هـ يريد طليطلة (١٥)

يتضح من هذا العرض مدى الجهود التى بذلها المسلمون لفتح غرب الأندلس ، وأنهم ضحوا كثيراً بالأنفس والأموال فى هذا الاقليم ربما أكثر من أى إقليم أندلسى آخر .

ذهب موسى بن نصير بعد ذلك للقاء طارق بن زياد فى طليطلة ، ومن هناك توجهوا معا لفتح شمال شرق اسبانيا والشمال و الشمال الغربى واعتقد أن موسى قد بذل جهداً آخر لاستكمال فتح غرب الأندلس حيث أورد لنا الدكتور حسين مؤنس بعض نماذج التنظيم الإدارى لهذا الاقليم ومن ذلك الصلح الذى عقد مع أهل قلمرية Coimbra فى أقصى غربى الأندلس ، ومن ذلك النص يشير د مؤنس إلى أن " أهم ما فى هذه المعاهدة هو أن يكون لأهل قلمرية الحق فى أن يحكموا أنفسهم بقوانينهم التى تعودوا أن ينظموا بها أمورهم قبل مجئ المسلمين ، وأن يكون لهم حاكم منهم يقوم بالقضاء بينهم ، وينفذ الأحكام فيما عدا احكام الاعداء إذ كان لابد من عرضها على الحاكم الاسلامى المقيم . وكان هذا العامل المسلم يقيم فى قلمرية ممثلاً لسلطان المسلمين ، ومعه حامية تؤيده وتحميه ، وتمنع النصارى من الانتقاض عليه ، فإذا وقعت

خصومة بين مسلم وواحد من أهل البلاد كان لابد من عرضها على الحاكم المسلم الذى يقضى فى الأمر بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وإذا اعتدى نصرانى على مسلمة الزم باعتناق الاسلام والزواج منها ، فاذا كانت متزوجة لم يكن له من الموت بد (١٦).

غرب الأندلس فى ظل الحكم الاسلامى :

حفل تاريخ غرب الأندلس السياسى بالكثير من الفتن والقلقل والثورات السياسية وذلك بحكم الموقع الجغرافى ، وبعدة عن العاصمة ، وسهولة اتصاله بالبحر المحيط من ناحية وممالك الشمال المسيحية من جهة أخرى ومن ثم فلا عجب أن ظهرت شخصيات بارزة مثل ابن مروان الجليقى ، الذى كان أكثر ثوار المنطقة شكيمة وشدة مما حمل امراء بنى أمية على إيفاد الحملات تلو الحملات لاختضاع هذا الاقليم ، وبسط سيادة الدولة الأندلسية عليه .

كما كان هذا الاقليم مسرحا لهجمات النورمانديين الذى حطوا على سواحله الغربية على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ثم تواصلت حملاتهم على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، إلى أن عاودوا الظهور على شواطئ الأندلس بعد ذلك فى عصر الخلافة .

كما شهدت مناطق غرب الأندلس ازدهارا حضاريا حقيقيا ، وكانت فيه المدن الزاهرة كمدينة أشبونة عاصمة البرتغال حاليا ومدينة شلب مرتع شباب المعتمد بن عباد ، ومدينة بطليوس حاضرة بنى الأفطس والذين كانت أيامهم فى غرب الأندلس اعيادا ومواسما وكانوا ملجأ لأهل الأدب (١٧) ١٣.

كما برز من أهل المنطقة بعض القضاة الذين ارتقوا إلى مكانة قاضى الجماعة فى الأندلس مثل القاضى سعيد بن سليمان الغافقى والذى كان رجلا صالحا متقشفا مهيبا متمسكا برأيه عندما يكون على حق ، وقد ولاه الأمير محمد الذى تعرف عليه جيدا حينما كان الأمير محمد أميرا على ماردة وسعيد بن سليمان قاضياً عليها (١٨). ومنهم أيضاً كل من قاضى الجماعة معاذ بن عثمان الشعبانى ، والقاضى سعيد من قاضى الجماعة محمد بن بشير بن شراحيل .

والى جانب هؤلاء القضاة هناك عدد آخر من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية التي نمت وترعرعت على أرض غرب الأندلس ، ومنهم الفقيه الجليل أبى الوليد الباجى والذي رحل إلى المشرق ، وعاد إلى الأندلس حاملا العلم كله ، وكم ناظر العلماء وبزهم والأدباء فرعهم ، وأصطدم بالفقيه العظيم ابن حزم الأندلسى والذي ترجع أصوله أيضا إلى قرية فى غرب الأندلس هي " وليه " ولابد من الإشارة إلى شاعر الأندلس الكبير ابو بكر محمد بن عمار ابن مدينة " شلب " وهو الرجل الذى ارتقى به شعره ليحمله نديما للمعتمد بن عباد ، ثم وزيرا ، حتى طمحت نفسه إلى الإمارة ، وكان ذلك الطموح سبب أهلاكه فى ملحمة درامية تجمع بين الصداقة والحب والسلطة والكراهية .

ومن أهل الغرب أيضا الوزير أبا محمد عبد المجيد بن عبيدون صاحب المراثية الذائعة الصيت التى تسمى بالقصيدة العبدونية والتى مطلعها

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

فما البكاء على الأطلال والصور^(١٩)

واختتم هؤلاء بالإشارة إلى ابن بسام الشنترينى الكاتب المؤرخ صاحب كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ولقد ضاعت بلاد غرب الأندلس بعد هزيمة الموحدين فى معركة العقاب التى وقعت فى العشرين من محرم ٦٠٩ هـ / يونية ١٢١٢ م . اجتمع عليها ملوك ممالك النصرارى شمال الأندلس حتى اخرجوها من أيدي المسلمين ، هذا هو الاقليم الذى اهتم به المؤرخون الاسبان اهتماما بينا وما أنا أقدم ترجمة لواحد من الأبحاث التى كتبت عن هذه الناحية .

من هو فرانثيسكو قوديرة Francisco Codera Zayad in

ولد فرانثيسكو قوديرة عام ١٨٣٦ ميلادية وانتقل إلى جواربه عام ١٩١٧ ، وأصبح واحدا

من اهم المستشرقين الاسبان ووصل الى كرسى استاذية اللغة العربية والاسلام بجامعة مدريد، كما احتل مكانه فى مجمع الخالدين باسبانيا كعضو فى الاكاديمية الملكية الاسبانية للغة la Real Academia Espanola de la lengua * وكذلك الاكاديمية التاريخية (٢٠).

La real Acodemia de Histroi. ولقد اشرب كوديرة حب العرب ، ويقال انه ينحدر من اسرة عربية الأصول شأن كثير من الأسر الاسبانية ، واختار لاسمه صيغة عربية هى " الشيخ فرنسيته كدارة زيددين " .

كان كوديرة يمثل نقطة تحول بارزة فى نظرة المستشرقين الاسبان إلى التراث العربى والاسلامى ، فقد عمل على تحقيق كم ضخم من المخطوطات العربية وأصدر ما أسماه بالمكتبة الاندلسية Bibelioteca Arabigo - Espanola ، ولعل هذا أو تحقيق لتلك المجموعة ومنه نقلت الطباعات التالية لها .

ويرى الدكتور مصطفى الشكعة بأنه " لعل كوديرا هو المستشرق الوحيد الذى علا صوته بمدح المسلمين ، وتمجيد اعمالهم وعلان فضلهم على الحضارة الانسانية ، وحفاظهم على التراث القديم (٢١)* .

أهمية هذه الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة فى ذلك المجهود العظيم الذى بذله كوديرة لى يجمع انباء غرب الاندلس فى المصادر العربية ويقدمها لقراء الاسبانية وهناك نقطة أخرى ذات قيمة واضحة وهى مقارنة الروايات الاسلامية بالروايات الواردة فى المصادر الاسبانية القديمة ، ووصوله الى مجموعة من الحقائق أهمها صدق الروايات الاسلامية وتطابقها مع الواقع ودقتها على العكس مما ورد فى المذونات الاسبانية والتى غلب عليها فى بعض الاحيان عدم الدقة واللجوء أحيانا إلى قبول بعض الروايات التى يمكن ان تقبل فى الادب الشعبى ولكن لا يمكن القول بها فى مدونة تاريخية .

ملاحظة اخيرة

تمكنت والحمد لله من العودة الى النصوص الاصلية التي اعتقدت ان المؤرخ اعتمد عليها في ترجمته ، وسجلت في الهوامش اين يمكن للقارئ الكريم الاطلاع على النصوص الاصلية في مصادرها الاسلامية .

والله ولي التوفيق

هوامش الدراسة

- ١ - المقرئ : نفع الطيب ، طبعة يوسف البقاعى جـ ١ ص ١٣٢
- ٢ - مؤنس : رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر الطبعة الاولى ١٩٦٣ ، ص ١٣٢ .
- ٣ - : انظر روايات الفتح الاسلامى للاندلس فى نفع الطيب جـ ١ ص ٢١٩ وما بعدها ، وكذلك كتابى الفتح الاسلامى ، مطبعة سعيد رأفت بالقاهرة عام ١٩٨٥ ص ١٠٨ وما بعدها .
- ٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، طبعة دار الثقافة ببيروت جـ ١ ص ٢
- ٥ عبد المجيد تعنى : الاسلام فى طليطلة طبعة دار النهضة العربية . د . ت ص ١٩
- ٦ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٩ والمقرئ : فتح الطيب جـ ١ ص ٢٤٩ وكذلك الفتح الإسلامى للاندلس ص ١٢٤ .
- ٧ - ابن القوطية تاريخ الاندلس ، ص ٣٥
- ٨ - انظر تفاصيل ذلك فى كتابى " الفتح الاسلامى للاندلس ص ١٣٢ وما بعدها .
- ٩ - المقرئ : نفع الطيب جـ ١ ص ٢٥٧ .
- ١٠ - نفس المصدر جـ ١ ص ٢٥٧
- ١١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم . ص ٩٥ . وليس لذلك أية إشارة فى مصادرنا الاسلامية اللهم الا ان موسى قد ضم اليهود الى خامية المدينة بعد ذلك . أنظر اخبار مجموعة ص ٧ ، والنفع جـ ١ ص ٢٦٩ .
- ١٢ - اخبار مجموعة ص ٧ نفع الطيب جـ ١ ص ٢٦٩ .

١٣ - اخبار مجموعة ص ١٦ . ويقول المقرئ : وكانت ايضاً دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر ذات عز ومنعة ، وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جلييلة القدر فانتقة الوصف ، فحاصرها ايضاً ، وكان من أهلها منعة شديدة ويأس عظيم (النفج جـ ١ ص ٢٧٠)

١٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص : ٩٥ - ٩٦ .

١٥ - المقرئ : نفج الطيب جـ ١ ص ٢٧١ ،

١٦ - حسين مؤنس فى فجر الاندلس ، طبعة القاهرة ١٩٥٩ م ص ٢٩٩ .

١٧ - محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٢ ص ١٧٠

١٨ - الخشنى : تاريخ قضاة قرطبة ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٦١ ، والنباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، طبعة بيروت د . ت ص ٥٤

١٩ - حسين مؤنس : رحلة الاندلس ص ٤٠٣

٢٠ - Diccionario ilustrado de la lengua Espanoal Enciclopedia Universal Tomo 2 - P.2054

٢١ - مصطفى الشكعة : المغرب والاندلس ، دار الكتاب اللبنانى بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ ص ٤١ .

**بنو مروان فى ماردة وبطليوس
دراسة نقدية للتاريخ الاندلسى**

Los Benimeruam en Mérida y Badajoz
Estudios Criticos de Historia a'ra-be
Espanola .

Madrid 1917

بقلم فرانثيسكو كوديرا

عضو مجمعى اللغة والتاريخ باسبانيا

Francisco Codera

De les Reales Academias Espanola
y de la Historia

بنو مروان فى ماردة وبطليوس

مقدمة

بدأت فحفا متأنيا لأوراقى وملاحظاتى التى سبق أن دونتها وذلك بناء على رغبة صديق كريم هو الدكتور انوار سافدرا ، الذى رجانى أن أقدم لأحد أصدقائه كل ما يتعلق بمنطقة بطليوس وابن مروان الجليقى ، حيث أن صديقه هذا يعمل على إصدار كتاب تاريخى عن مدينة بطليوس .

جمعت كل ما رأيته مناسبا لهذا الكتاب ، وسطرت عدة صفحات رأيت فيها الكفاية للغرض المطلوب ، ونويت ارسال ذلك كله إلى الصديق المشار إليه . لكننى حين قرأت ذلك كله على صديقى الدكتور سافدرا رأى فضيلته أنه سيكون من الصعب على أى شخص غير متخصص فى الدراسات العربية الاستفادة مما أعدته وأرجع ذلك إلى التعقيدات الكثيرة فى هذه المعلومات ، وما بها من معلومات متضاربة وما يحيط بالكثير من المعلومات من شكوك وارتياح ، وقلة الوقائع المؤكدة التى تمكنا من فهم سير الأحداث فى هذه المنطقة ومن ثم دعانى صديقى الدكتور سافدرا إلى كتابة مقالة خاصة ونشرها متضمنة تلك التفاصيل والمعلومات التى أتيت إلى جمعها ، وبالتالي يمكن لصديقه بعد ذلك الاستفادة من هذه المقالة .

وكان على أن أعود مرة ثانية لمراجعة بطاقات بحثى ، وتوسعت فيها ، وقمت بتغيير العنوان أيضا ليشتمل على أحداث مدينة ماردة . وبعد تعمقى فى العمل وجدت أنه لا مناص من الإشارة إلى كل الأحداث الهامة والمثيرة المتعلقة بغرب الأندلس عامة والتى أشار إليها المؤرخون المسلمون ، ومن هنا كان على تصحيح وزيادة ايضاح ما كان لدى من بيانات مسجلة .

ولولا الرغبة الملحة فى أن يرى هذا العمل النور سريعا لكى يمكن الاستفادة منه فى إعداد تاريخ بطليوس والذي كان السبب الأساسى الذى حركنى لكتابة هذا المقال لتأخر ظهوره مدة طويلة ذلك بسبب كثرة التعقيدات والنقاط الغامضة التى كان على أن أوضحها ولم يكن ذلك عملا سهبا فحسب لكنه كان يعنى أن هذا المقال لن يرى منشورا قبل مضى وقت طويل جدا لأن مشاغلى واهتماماتى الحالية تضطرنى أن أكون بعيدا عن كتفى ومصادرى العربية وأن أظل كذلك لعدة شهور قادمة على الأقل .

فرانثيسكو قويدرة

ماردة ،

سجل التاريخ لهذه المدينة إنها صمدت صمودا شديدا فى مواجهة قادة الفتح الاسلامى للاندلس ، وإنها وأن استسلمت للأمير موسى بن نصير إلا أن ذلك لم يكن إلا بعد مقاومة كبيرة وإن لم تصل فى مقاومتها إلى ذروة عالية ولقد سجل التاريخ أيضا أن هذه المدينة هى من أكثر مدن الاندلس تمردا وعصيانا وخروجا على أمراء بنى أمية الاندلسيين ، ولعلها فى هذا المضمار تتنافس مدينتى طليطلة وسرقسطة وإذا كانت ماردة لا تصل إلى مرتبتهما فى مجال الثورة والتمرد إلا أنها ولا شك تشترك معهما فى كونهم أكثر مدن الاندلس تمردا وعنادا وثورة ضد بنى أمية .

لقد مرت بلاد الاندلس بفترة تاريخية عصيبة خلال النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، بل وأمتد ذلك حتى نهاية العقد الاول من القرن الرابع الهجرى حفلت خلالها بالثورات وكانت هناك ثورة عمرو بن حفصون وغيرهم من الثوار والخارجين بعضهم ممن تحالف معهم ، وبعضهم تمرد لحاسبه الخاص حتى أصبح سلطان بنى أمية فى الاندلس على شفا الهاوية وكادت ان تعصف به رياح هذه الثورات تماما وكان لثوار غرب الاندلس فى هذا المجال دور بارز وإن لم يكن بينهم وبين ابن حفصون أى تحالف أو اتفاق على الوصول بحكم بنى أمية إلى هذه الحالة المتردية .

خلال هذه الحقبة المتوترة ، وإبان تلك الفترة الزمنية الطويلة كان المحرك الاساسى للأحداث فى ماردة أولا وفى بطليوس بعد ذلك واحدة من العائلات التى لا نملك الكثير من المعلومات عن أصلها أو نشأتها على الرغم من شهرة بعض افرادها شهرة كبيرة . حالة واحدة فقط هى التى نملك بيانات تفصيلية نوعا ما وهى متعلقة بأحد أبناء هذه الاسرة اسمته المصادر العربية د. (ابن مروان الجليقى) ولا شك ان المصادر قد اسمته بذلك الاسم لعلاقته

الحميمة مع الفونسو الثالث المقلب (بالفونسو الكبير) ، مع أنه قد سبق لأحد المؤرخين أن أشار إلى أسم لأحد الافراد (بابن مروان الجليقي) وذلك ضمن فترة تاريخية سابقة لذلك بمدة طويلة ضمن زعماء مدينة ماردة فإننا لكي نتمكن من دراسة تاريخ هذه الاسرة ولكي نستطيع - ما أمكن - ترتيب أمراء بني مروان والشعوب التي كان لها علاقة بها فإن علينا ان نجمع على بساط واحد كل البيانات والحقائق المتعلقة بغرب الاندلس ليس على مدار القرن الثالث الهجرى كله وحسب ولكن يجب أن يشمل ذلك أيضا السنوات الأولى من القرن الرابع الهجرى أى من عام ٢٠٠ هـ إلى ٣١٧ هـ (١٥٨ - ٩٢٩ م) وسيكون إعتدانا فى ذلك على ما يمكن الحصول عليه من المصادر والمعلومات العربية .

وحتى أكون واضحاً ومازلنا فى بداية الحديث ولكى لا يتعلق القارئ بوهم خادع أو لكى لا يتعلق بأمل كاذب فى الحصول على معلومات وافية جداً أو حتى على الأقل فى تسلسل طبيعى متواصل حول احداث منطقة غرب الاندلس خلال هذه الحقبة فإننى أؤكد باننى ساقدم فقط المعلومات المتفرقة التى أمكننى الحصول عليها فقط فإنه ليس من واجبنا هنا التصميم على الربط بين هذه الأحداث بل سنجد انفسنا فى كثير من الاحيان لا نجرؤ على ما هو أكثر من تقديم ترجمة للنصوص العربية التى بين أيدينا وعلينا أن نمضى فى ترتيب هذه الأوراق ترتيباً زمنياً ففى كتاب المؤرخ ابن سعيد معلومة غير مسجلة عند غيره من المؤرخين المسلمين يقول فيها (أنه فى ٢٠١ هـ) (٨١٦ م) نقض أهل ماردة عهدهم مع الحكم وصاروا بزعامة ابن مروان الجليقي (١) .

ويمكننا التشكيك فى هذه المعلومة لحد ما ، حيث لم نجد فى أى مكان آخر أى إشارة إلى ثورة ماردة هذه أو أى معلومة عن هذا الذى يسمى مروان الجليقي ، ويمكننا ان نعتقد ان هذه المعلومة أنما تشير إلى ابن مروان التى سنتحدث عنه فيما بعد . ولكن بما انه واضح ومحدود ، ليس لدينا من المعلومات ما ينقضه ، فانه يمكننا قبول النص ولو كان من باب

الاحتمال والترجيح والقول بان (مروان هذا ، إن لم يوجد خطأ فى الاسم يمكن ان تنتسب إليه اسرة) (بنو مروان) .

كما اننا وجدنا رواية عند ابن الاثير لم يروها غيره كذلك عند الحديث عن عام ٢٠٣ هـ - ٨١٨ م ، حيث يقول : وفيها ظهر بالاندلس رجل يعرف (بالولد) وخالف على صاحبها تفسير إليه جيشا فحاصروه فى مدينة باجة وكان قد استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيد (٢) .

لا نملك بين ايدينا اية معلومات تؤكد أن ثورة ماردة عام ٢٠١ هـ قد قضى عليها الأمير الحكم ابن هشام أو ابنه عبد الرحمن بن الحكم المعروف بعبد الرحمن الثانى والذي خلف والده فى سدة الحكم عام ٢٠٦ هـ (٣) .

وفى عام ٢١٠ هـ يقول لنا ابن سعيد رواية أخرى غاية فى الأهمية والطرافة إذا ما صدقت كلماته ولعلها كذلك لأنه ليس هناك مبرر لدحضها والنص على النحو التالى : وفى سنة عشر ومائتين (٨٢٥ م) أمر عبد الرحمن عامله جابر ابن مالك بان يتخذ من بيته منزلا للولاية ويحرك سفنه إلى حصار طليطلة وماردة وفتح حصون كثيرة من جليقة (٤) .

وحيث أننا لم نجد فى أى مصدر آخر أية إشارة إلى أحداث تلك السنة حتى يمكننا القيام بالمقارنة والربط بينها وبين ما يقوله ابن سعيد فانه لا يسعنا إلا ان نترك للقارئ الكريم فرصة تقييم هذا النص بالطريقة التى تبدو له أكثر ملائمة .

وفى عام ٢١١ هـ فقد أشير إلى رسالة أرسلها Ludvico Pio إلى أهل ماردة يحثهم فيها على الثورة ويعرض عليهم المساعدة والحماية وهناك بعض المؤرخين من يرى ان تلك الرسالة وجهت إلى أهل سرقسطة ولم تكن موجهة بأى حال إلى أهل ماردة ومع أننى سبق لى الحديث عن هذه الرسالة فى بحث آخر ناقشت فيه مسألة توجيه الرسالة إلى أهل ماردة لأننى لم أكن قد تبينت وجود مقاومة من أهل هذه المدينة ضد أمراء بنى أمية فى قرطبة والان فأننى

أميل الان إلى أنه فى حدود هذا التاريخ فقد بدأت بعض مظاهر الثورة والتمرد بدأ من عام ٢٠١ هـ وأنها قد أصبحت واضحة جدا وأصبح من الممكن قبول بأن Ludvico Pio قد أقام علاقات مع المتمردين^(٤) . والثائرين لكى ينظموا صفوفهم فى وجه عدوهم المشترك .

وفى ٢١٢ هـ بدأت فى ماردة بعض الحوادث المتتابعة زمنيا والتي ستتوالى فى الأعوام التالية ويفصلها لنا مؤرخون عرب ونصارى فإين الأثير على الرغم من إلتزامه الصارم بالتسلسل الزمنى فى روايته للأحداث إلا أنه يحدثنا عن ثورة فى ماردة عام ٢١٢ هـ ثم يحدثنا عن مجموعة أخرى من الحملات وقعت فى أعوام أخرى متتالية فهو يقول (فيها قتل أهل ماردة من الأندلس عاملهم وسارت الفتنة عندهم فسير إليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد ان خربوا سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن إليهم بنقل حجارة السور إلى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارتهم فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان وأسروا العامل عليهم وجدوا بناء السور وأتقنوه فلما دخلت سنة أربعة عشر سار عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جيوشه إلى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها ، وأفتكوا رهائنهم بالعامل الذى أسروه وغيره . وحصرهم وأفسد بلادهم ثم رحل عنهم ثم سير إليها جيشا سنة سبعة عشر ومائتين فحاصروها وخيقوا عليها ودام الحصار ثم رحلوا عنها فلما دخلت سنة ثمان عشرة سير إليها جيشا ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد وكان من أهلها أنسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردى فحصره عبد الرحمن بن الحكم فى جمع كثير من الجند فصدقه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله ، وتبعتهم الخيل فى الجبل فافنؤهم قتلا وأسرا وتشريداً ومضى محمود بن الجبار الماردى فى من سلم معه من اصحابه إلى (منت سالوط Mante Salud) فسير إليه عبد الرحمن جيشا سنة عشرين ومائتين فمضوا هاربين عنه إلى حقل فى ربيع الآخر منها فأرسل سرية فى طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم ما معهم ومضوا لوجهتهم فلقبهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا

فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود ما فيها وسار حتى أتى مدينة " مينة " فهجم عليها وملكها وأخذ ما فيها من الدواب والطعام وفارقوها فوصلوا إلى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فاقاموا بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصرهم ادفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمود ومن معه وذلك فى سنة خمس وعشرون ومائتين فى رجب وأنصرف من فيها (٦) .

يقدم لنا ابن سعيد معلومة مثيرة حول موت محمود ابن عبد الجبار رغم انه لا يهتم كثيرا بحملاته فيقول عنه (فى سنة ٢٢٥ هـ مات محمود بن عبد الجبار البربرى الشجاع الثائر فى ماردة المقاتل ضد جنود الامير عبد الرحمن مدة طويلة والذى حاز شهرة كبيرة لشجاعته كان قد هرب إلى أدفونس وطمع فى العمودة إلى طاعة الامير عبد الرحمن وكان يقيم فى قلعة بقشتالة ودخل فى حرب ضد الادفونش فجمع به حصانه فى إحدى المعارك فاصطدم به فى شجرة من البلوط فسقط ميتا وظل جسده مسجى على الأرض فترة طويلة يحيط به فرسان النصارى ولا يجرؤن على الاقتراب منه خشيه وهيبه أن يكون ذلك منه حيلة للإيقاع بهم (٧) يستدل من ذلك النص - إذا كان المؤرخ فيما نقل - أن محمودا حاول العودة إلى طاعة الأمير عبد الرحمن الأموى ، أما اشارته إلى كونه بربريا فلعل مرجعه إلى الاهمية الكبرى التى تمتع بها البربر فى مدينة ماردة وإن لم نؤكد لنا المصادر الأخرى تلك الصفة فى نسب محمود بن عبد الجبار .

ولقد قدم لنا ابن خلدون والنويرى بعض المعلومات عن هذه الأحداث مع اختلافات بسيطة ، وإن أغفلا بعض التفاصيل وأهملوا البعض الآخر ، ومما هو جيد بالذكر اغفال ابن خلدون لحملة سنة ثمان عشرة ومائتين حيث خلط بينها وبين حملة مائتين وعشرين من الهجرة .

ولقد أشار ابن عذارى إلى حملة ٢١٧ هـ لكنه خلط بينها وبين حملة العام التالى ، ولم يزد فى قوله على أكثر من الإشارة إلى أن ماردة حوصرت ، وأن الحصار قد اشتد عليها ، وهرب

منها كثيرون وقتل منهم كثير .^(٨) .

أما صاحب كتاب أخبار مجموعة فقد أشار إلى هذه الأحداث وصاغها على النحو التالي :
" وغزا ماردة - يقصد الأمير عبد الرحمن الأوسط - سبعة أعوام ولاء ، فلما كان العام السابع ، وأشفى بهم على العطب ، نظر إلى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان ، وعجيج البكاء ، فأمر بالامساك عنهم - وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده - وقال لهم : قد علمتم ما كان من تغلب حشمتنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ، ولم يكن رفعنا بارفعناه عنهم الا رقبة لله عز وجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدائهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفيح ، وقد عزمنا على الانتقال عنهم ، فإن أبصروا قدر يدنا في الإبقاء عليهم ، ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا ، وعلى الانتقام منهم قديرا ، فهو الذي أيدنا وقهرهم ، ونصرنا وكبتهم .

فلم ينتقل إلا محلة حتى أتتهم رسلهم بطاعته والالقاء إليه بأيديهم^(٩) .

يلاحظ على هذا النص انه لا يحدد تاريخا ، ولكن بما ان الثورة قد بدأت في عام ٢١٣ هـ - ، وأن المدينة قد استسلمت في عام ٢٢٠ هـ على ما قال ابن خلدون في موضع آخر فإن ذلك قد يعنى ان الأمير كان على رأس قواته بنفسه في حصار المدينة ، ومن المحتمل ترك ماردة الذي اعقب تمردا عام ٢٠١ هـ والذي وصل إلينا بعض الاشارات عنه .

يشير كتاب المدونات النصرانية إلى وصول محمود بن عبد الجبار إلى جليقية Galecia ، وإن افترضوا استقباله بواسطة الملك الاسباني الفونسو التقى Alfonso El Casto الذي تمرد عليه فيما بعد متحصنا في قلعة القديسة كريستينا Santa Critina التي قدمها له

الملك الاسبانى لكى يقيم فيها (١٠) .

علم الملك الفونسو بتمرد محمود بن عبد الجبار فى قلعة القديسة كريستينا ، وأنه قد أخذ يعبث خرابا فى منطقة جليقية ، فهب يعد العدة لقتاله ، وجمع جيشا قويا ، اتجه به لمواجهة هذا التمرد وحاصره فى القلعة ، وسقط محمود بن عبد الجبار صريعا فى هذا القتال .

وكما ترى فان هؤلاء المؤرخين لا يقدمون تلك المعلومات الا بصورة غامضة وعامة ، وليس من بينهم الا Silense فهو الكاتب الذى يقدم لنا صورة تفصيلية ، فهو يفترض وصول محمود بن عبد الجبار إلى اشتوريس Asturia فى العام الثلاثين من حكم الملك الفونسو التقى أى عام ٨٢١ م الذى يقابل عام ٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ ، ولا شك ان فى ذلك التاريخ خطأ لا يقل عن خمسة عشر عاما على الأقل ، ويضيف هذا المؤرخ قائلا ان محمودا ، بعد سبع سنوات ، قد تمرد على حاميه وملكه وأنه قد جمع حوله جيشا كبيرا دمر به كافة انحاء منطقة جليقية ، وعلم بذلك الفونسو التقى فاسرع بجيشه إلى هناك مما أربع محمود ، ورغم ثقته بنفسه وبجيشه ، وحتى لا يقع بين أيد رجال الجيش الملكى فقد لجأ هو ومن معه إلى قلعة عرفت باسم القديسة كريستينا Santa Cristina . حاصر الملك الفونسو القلعة بجيش ضخم قوامه عشرة آلاف وتمكن رجاله من تحطيم الأسوار وتسلقها ، قتل محمود فى لحظات القتال الأولى ، وحملت رأسه إلى الملك الفونسو ، فى نفس اليوم . وعلى ما يقول المؤلف ، فإنه فى نفس اليوم وقعت مذبحة بشعة ضد هؤلاء المتمردين من الاسرائيلين ، كما قتل فى هذه المعركة خمسون الفا البرابرة (١١) .

ولا شك ان الرقم مبالغ فيه جدا ، وعلى الرغم من أن نفس الرقم قد أورده المؤرخ سباستيان الشلمنقى Sebastian de Salamanca الا أن القارئ المحنك ، يمكنه - حسب معياره فى الحكم - ان يحذف صفرا أو صفرين أو ثلاثة أصفار من هذا الرقم .

وفى وثيقة نشرها الأب ريسكو El Podre Risco بان الملك الفونسو ذاته قد اشار إلى هذا

الأحداث كهدية إلى كنسية مدينة لوجو عام ٨٧٠ م ، ولقد صححها المحقق إلى عام ٨٣٢ م لكن هذا العام الميلادى يقابل فى التواريخ الهجرية سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ ، ومن ثم فإن الوثيقة التى تشير إلى وفاة محمود تكون قد كتبت قبل وفاته بسبع أو ثمان سنوات مما يضى على الأحداث مزيدا من الشك .

ماذا تفعل أمام هذا الطوفان المتناقض فى تحديد التواريخ الخاصة بأحداث ثورة محمود ومقتله ، والتى يتناقض فيها المؤرخون المسلمون والنصارى على حد سواء ؟ وماذا نقبل منهم ؟ من الطبيعى أن القارئ لا يرى هناك أى شك فى ضرورة الأخذ برواية المؤرخين الاسبان المسيحيين حيث لا يكتفى بإيراد نصوص مؤرخ معاصر فحسب بل أنه أيضا رجل قد شارك فى الأحداث بنفسه على ما توحى لنا للوهلة الأولى الوثيقة الخاصة بكنيسة لوجو Iglesia de Lugo ، ولن إذا ما تمعنا الأمر فى هذه الوثيقة المفترضة من الملك الفونسو إلى هذه الكنيسة ، وقد سبق لنا ان شككنا فى صحتها ، فإننا نتبين مدى وهنها وضعفها إن لم نصل إلى القول المؤكد بزيفها وعدم صحتها .

من ناحية أخرى فإن روايات المؤرخين المسلمين الذين سبقت الإشارة إليهم تتناول بكل تفصيل زمن الأحداث التى ارتبط بها محمود بن عبد الجبار ، وتأتى هذه الاخبار - فى معظمها - منسقة ولا تبدو احداها غير مقبولة بصورة واضحة على ما هو الحال عليه فى روايات المؤرخين اللاتين تأتى الوثائق التى نعتبرها مصادر معرفتنا بتاريخ محمود وعلاقاته بالملك الفونسو فى **محدونات المؤرخين** :

Sebastion de Salamanca , el Albeldense g el Silense.

ولتوقف أمام مدونة " البلدى " El Albeldense ، أقل هؤلاء الثلاثة عرضا لتحلل بعض ما قاله من أخبار أو معلومات . فنلاحظ أنه لا يسجل تاريخا معيناً ، وجاءت روايته مختصرة على النحو التالى ، هرب محمود من ملك قرطبة ، ولجأ إلى الملك الفونسو ملك اشطورييس ،

الذى استقبله استقبالا كريما ، ثم بعد فترة ثار محمود فى منطقة جليقية ، واحتفى فى قلعة القديسة كريستينا S. Cristina حيث حاصره الملك وقتله واستولى على القلعة بكل ما كان فيها .

أما المؤرخ المعروف باسم سبستيان الشلمنقى Sebastian de Salamanca ، فإنه يقدم لنا معلومات أكثر تفصيلا ، فهو يجدد لنا تاريخ وصول محمود إلى أشتوريس ، وإن جاء ذلك بطريقة غير مباشرة ، وإنما ضمن إشارته إلى وقائع وأحداث فى العام الثلاثين من حكم الفونسو (٨٢١ م أو ٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ) وإن هذه محمودا ، وقد كان يطلق عليه Mahzemuth وقد وصل إلى أشتوريس بعد الاحداث مباشرة ، وإنه عاش هناك حوالى سبع سنوات ، وفى العام الثامن جمع حوله جيشا من المسلمين ، وقام بسرقة ونهب جيرانه ، وأخيرا لجأ إلى قلعة كريستينا ، حيث حاصره هناك الملك الفونسو قادما بجيشه من مدينة أوفيدو Oviedo . وقتل محمود فى ساعات اللقاء الأولى ، وهوجمت القلعة ، وذبح بهاخمسون الفا من المسلمين الذين هبوا من الاندلس لمساعدة الثائرين .

يتبين لنا كيف أخذ هذان المؤرخان المشار إليهما رواياتهما التاريخية من الحكايات الشعبية الشفوية مع شئ من التباين ، فالثانى منهما قد قبل كل شئ حتى ما لا يصدق ، فنجدته يصدق - حتى ولو قال العامه بذلك - أنه تجمع فى قلعة القديسة كريستينا خمسون الف مسلم وأنهم استسلموا بسهولة للذبح أمام جيش الملك الفونسو التقى وهو جيش - كما نعرف قد جمع على عجل ، ومن المؤكد أتع لم يصل أبدا إلى مثل هذا العدد من الاعداء.

أما المؤرخ صاحب المذونة المعروفة باسم " دى سيلوس " La Cronica de Silos ، وهو متأخر عن معاصرة تلك الاحداث بحوالى قرنين من الزمان ، فقد اعطانا تفصيلات أكثر وأوسع من سابقه ، فقد حدد تاريخ وصول محمود إلى بلاط الملك الفونسو فى العام الثلاثين من حكم هذا الملك بأنه - أى محمود - بعد سبع سنوات من إقامته فى جليقية تكبر وعلا

وتمرد على مليكه ومملكته ، ثم أخذ لا بسرقة جيرانه فحسب - وأنما بتدمير وتخريب كل اقليم جليقية ، مستخدما فى ذلك قوات قوية من المسلمين امكنه تجميعها ، ومع ثقته الكاملة فى عدته وعتاده وعدده ، فإنه حين علم بوصول الملك إلى اقليم جليقية أخذته الرعدة من الجيش الملكى ، وانسحب إلى إحدى القلاع حيث لقي مصرعه فى ساعات اللقاء الأولى ، وقتل فى نفس المعركة خمسون ألفا من البربر ، بون أن يحدد إذا ما كان موت هؤلاء داخل القلعة أم خارجها .

من بين هؤلاء المؤرخين المسيحيين الثلاثة نجد أن أحدثهم هو الذى يحدد تاريخا لوصول محمود جليقية ، ومن ثم ايضا هو الذى يحدد لنا تاريخ وفاته ، ويتفق هذا التاريخ مع ما حدده المؤرخون المسلمون لثورة مدينة ماردة والتي استمرت حسب معظم الترجمات من سبع إلى تسع سنوات ، وفى نهايتها لجأ الثائر إلى مملكة اشتوريس .

لم يعرف المؤرخون النصارى أى شئ عن حياة محمود السابقة سوى أنه كان من ماردة ، وأنه هرب من الأمير عبد الرحمن ، أمير قرطبة ، وأن محمودا قد سبق له الثورة بمدينة ماردة . ومن كلمات مدونة Silos فإننا قد نلمح بعض الاشارات الى الهزائم التى أوقعها محمود بقوات الامير عن الجبل المعروف Monte Salud حين انسحابه إلى أراضي النصارى ، كما أننا نلمح أنه كانت لدى المؤرخ فكرة غامضة ومشوشة عن نوع من الاتفاق مع الثائر الذى رغب فى العودة إلى طاعة الامير القرطبي ، ومن هنا نفترض انه قد تلقى بعض المساعدات .

تبين لنا من هذا العرض كيف ان المؤرخين المسلمين قد قدموا معلومات أكثر تفصيلا عن هذه الاحداث ، ومقارنتها لرواياتهم تساعدنا فى توضيح مسلسل الاحداث بصورة طيبة على النحو التالى : لقد شارك محمود بصورة ايجابية فى ثورة ماردة ، وحينما استسلمت هذه المدينة انسحب محمود مع انصاره ، وشقوا لهم طريقا عبر اراضى الامير القرطبي حتى امكنهم الوصول إلى جليقية حيث استقبله الملك الفونسو وعقد معه سلاما وتمكن محمود مع

ذلك من الاستيلاء على احدى القلاع . وحتى ذلك الحين لا نجد عند المؤرخين النصارى أى علم بتاريخ محمود السابق سوى أنه ثار على الأمير عبد الرحمن ، وهى معلومة إلى حد ما صادقة ، لأنه كان لمحمود دوره البارز فى ثورة ماردة ، وأنه كان واحداً من قواد هذه المدينة الرئيسيين وان لم يصل إلى كونه قائد ثورة هذه المدينة .

أما ما أخذ به المؤلف السيلينسى Silanse من تحديد لا يتفق مع ما قال به المؤرخون المسلمون فأننا نرجعه إلى كونه مؤرخاً متأخراً يبعد كثيراً عن زمن الحادث ، أما الآخرون منهما فهما أكثر قدماً بل ربما كانا معاصرين تقريباً ومع ذلك فأنهما لم يحددا تاريخاً فان ذلك لا يعنى تعارضاً فيما قال به المؤرخون المسلمون ، لأن قيام سبستيان الشلمنقى ، وصاحب مدونة السيلينسى بتصديق الخبر القائل بمقتل خمسين من الف المسلمين فى قلعة القديسة كريستينا لدليل بين على عدم دقتهما ، ويبحث على الشك الكبير فى رواياتها .

لقد اتضح الآن بعد تلك الدراسة ، أن موت محمود قد وقع خلال عام ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ / ٨٤٠ م ومن ثم لم يعد هناك مجال للحديث عن تلك الوثيقة التى تجعل موته فى عام ٨٣٢ م والتى زعم مؤلفها أن الفونسو قد قص هذه الاخبار فى كنيسة لوجو Lugo أو على الأقل فلنقل بوجود خطأ فى تحديد التاريخ فى هذه الوثيقة .

ولنعد الآن إلى الأحداث التى جرت بعد عام ٢١٣ هـ والتى من خلالها ظهرت شخصية محمود .

يشير ابن الاثير ، وكذلك النويرى الى أحداث عام ٢١٤ هـ فيقول " وفيها سار عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس الى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور إلى الآن فملكها عنوة " (١١) وحيث أننا لم نجد اسم هذا الثائر الذى أشار اليه ابن الاثير باسم " منصور مسجلاً فى أى مدونة تاريخية اخرى غير ابن الاثير فأننا لم نستطع أن نحدد بداية تلك الثورة التى قامت فى باجة والتى اخدها عبد الرحمن عام ٢١٤ هـ .

وتأتى سنة ٢٢٠ هـ ، بعد استسلام مدينة ماردة وهروب محمود منها فمن المؤكد ان بعض

الاحداث الخطيرة قد وقعت فى هذه المدينة لأننا نجد الامير عبد الرحمن الاوسط وقد خرج على رأس جيشه عازماً على طليطلة " ولي أبا الشماخ قلعة رياح ، وأبقى عنده خيلاً كثيفاً ورجلاً كثيرة لمناهضة طليطلة ، وتقدم هو إلى كور الغرب ، وكان سليمان من مرثين ، وقد تحيل عليه يحيى الماردى فأخرجه من ماردة ، فكان فى قنن الجبال حيناً ، فحل عليه الامير فى هذه الغزاة ، وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرثين فى الحصن فخرج ليلاً ، فبينما هو يمشى ، إذ وافق صخرة ملساء على وجه الأرض ، فزلق به الفرس ، فسقط ومات ، ووجده رجل ، فاجتزأ رأسه ، وادعى قتله ، ثم عرف امره^(١٢) وليس فى استطاعتى أيضاً تقديم اية ايضاحات حول هذه الاحداث لعدم وجود اية معلومات عن هذين الشخصين فى المصادر التاريخية الا عند ابن عذارى^(١٣) .

وعن سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م يحدثنا ابن عذارى قائلاً ، وفى سنة ٢٢٣ هـ أغزى الامير عبد الرحمن من الحكم اخاه الوليد من الحكم الى جليقية ، فدخل من باب الغرب مع قطع من العسكر ، فبوخها ، وكانت له فتوحات كثيرة^(١٤) .

ونصل الآن الى العام ٢٥١ هـ (٨٦٥ / ٢ / ٢١ - ٨٦٦ / ١ / ٢١ م) دون ان نلتقى بأية معلومات عن هذا الاقليم اللهم الا بعض الترجمات لرجال الادب والتى قد لا تعيننا الآن فى هذا المجال .

يمثل عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقى من أهل ماردة وامام الثائرين - كما يسميه ابن حيان - الشخصية البارزة فى ثورات المولدين والبربر ضد سيادة قرطبة فى إقليم غرب الاندلس ، وعنه ، وعن اسرته كتبت كتب كثيرة ، لكنه للأسف الشديد ، فإن هذه الكتب قد فقدت ولم تصل إلينا ، ولم يتبق منها الا فقرات متفرقة مما يجعل من الصعب ان أقدم هنا تحليلاً وافياً عن احداثه وسأكتفى بترجمة مابقى من نصوص حول هذا الرجل .

أورد الصنبي ترجمة ابن مروان تحت رقم ١٠٤٥ دون ان يحدثنا بتفصيلات كثيرة وإنما اكتفى بقوله : عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، منسوب الى بلده ، كان من الخوارج فى أيام بنى أمية بالاندلس ، جمعت فى يأخباره كتب هناك ، ذكره ابو محمد على بن احمد^(١٥) .

وجاءت اخبار بن مروان الجليقي عند ابن عذارى عند حديثه عن جملة الثوار ببلاد الأندلس فى أيام الامير عبد الله الخارجين عن الجماعة ، المضرمين لنار الفتنة فقال ، ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى ، اقتعد مدينتي بطليوس وماردة ، ففارق الجماعة وجاور اهل الشرك ، ووالاهم على اهي القبلة (١٦).

أما بن القوطية فقد تحدث عن ابن مروان حين حديثه عن الأيام الاخيرة للامير محمد عبد الرحمن فقال: فاضطربت الاحوال فى آخر أيامه ، فنزل فتنة حدثت عليه خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف ، بالجليقى من قرطبة إلى الغرب ، وكان فى جملة الحشم ، وكان اصله من جهة المغرب ، وكان من المولدين وكان بجانب الغرب ايضاً رجل من المولدين يعرف بسعدون السرنباقي ، وكان المولدون يغفلون فيه فيقولون : إنما هو السرور الباقي .

وكان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لا متقدم له فيه فاجتمع بالسرنباقي ، وتضافرا على الشرك وحدثا فى الاسلام احداثاً عظيمة يطول ذكرها ، وصارا فى القفز بين الاسلام والشرك (١٧).

وقال ابن حيان (نقلاً عن ابن القوطية) " اضطربت الاحوال فى آخر ايام الامير محمد ، ونشأت الفرقة ، ونجم اهل الشقاق بكل جهة ، فكان أول فتق حدث عليه فتق عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى ، وخروجه عاصياً من مكانه فى مصاف السلطان بقرطبة الى جهة بلده بالغرب قاطعاً للسبيل ، خالعاً للطاعة وأصله من مولدى الغرب الغالبيين فى رأى التغوية ، وكان ذا بأس شديد ، وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالشر لا يلحقه فيهن أحد من نظرائه ، وقد كان فى جملة الحشم فى ديوان السلطان (١٨) .

ولقد عرض المؤرخ الكبير دوزى بمهارة فائقة لخبار الغارات والغزوات والحوادث التى قام بها بن مروان ولكن دون ان يكون لديه سند مؤكد من قبل المؤرخين المسلمين ، حتى انه نسب الى الرجل دوراً - على ماأرى شخصياً - لم يكن يحلم بالقيام به ، يقول دوزى عن ابن مروان الجليقى : لقد جمع ابن مروان جيشه فرقة بعد فرقة من الاوباش والمرتدين وغيرهم ، وأنه بشر بينهم بديانة جديدة هي مزيج وسط بين الاسلام والمسيحية ، وعقد تحالفاً مع الفونسو الثالث

ملك ليون ، الحليف الطبيعي لكل متمرد وثائر على حكومة قرطبة .

أنتنى اعتقد ان الكلمات التى استخلص دوزى من ترجمتها ان ابن مروان قد بشر بديانة جديدة تجمع بين الاسلام والنصرانية قد وردت عند بن حيان قال عنه " انه هجر دار التوحيد ، وجاور بلاد الشرك ^(١٩) . ، وفى ما قبلها يعود بن حيان ايضاً حين حديثه عن الرجل بعد ان تصالح مع الامير بانه ابتعد عن دار الكفر والتحف بالطاعة .

ولقد استخدم ابن عذارى نفس الكلمات تقريباً التى اشرنا اليها وسبق لنا ان بينا ان ابن القوطية لم يكن دقيقاً فى نصنا الذى اشرنا اليه ، ونحن فى النهاية نعتقد بعدم وجود اساس كاف لكى نؤكد ذلك ، على الاقل فيما قال به دوزى بان ابن مروان حاول ان ينشر ديانة جديدة بين اتباعه .

وفى مطالعتنا لتاريخ ابن خلدون فإننا نجد أقدم الروايات عن ابن مروان الجليقى ويرجعها ابن خلدون الى عام ٢٥١ هـ فهو يقول : ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة ، فأتخن وخرب ، وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان الجليقى فيمن معه من المولدين ، وساروا إلى التخم ، ووصل يده بأذفونش ملك جليقية " ^(٢٠) .

واحتراماً لذلك المؤرخ العظيم بن خلدون ، فعلينا ان لا نرجع اليه هذا الخطأ الوارد فى النص المطبوع ، وفى اعتقادى اننا يجب ان نتناوله على انه خطأ مطبعى او خطأ من الناسخ حيث ان المؤرخ من تناوله احداثاً اخرى فى نفس العام لم يكرر كتابة التاريخ كما حدث فى حالتنا هذه ، هذا اذا افترضنا بعدم وجود خطأ فى هذه النسخة .

عام ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م .

يتحدث بن عذارى عن هذا العام قائلاً : وفى سنة ٢٥٤ خرج الامير محمد إلى اماره ماردة وأظهر أن استعداداه لطليطة ، وكان بماردة قوم من المنتزىين ، فلما فصل من قرطبة ، وقدم بالمحلات الى طريق طليطة ، نكب إلى ماردة ، فاحتل بهم ، وهم فى امن وعلى غفلة ، فتحصنوا فى المدينة أياماً ثم ناهض القنطرة ، فوقع القتال ، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها

فامر الامير بتخريب رجل منها ، وكان ذلك سبباً لاذعان اهل ماردة ، فطاعوا على ان يخرج فرسانهم ، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان ، وابن شاكر ، ومكحول ، وغير هؤلاء ، وكانوا اهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة . فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذرائعهم وولى عليها سعيد بن عباس القرشي ، وأمر بهدم سورها ، ولم يتبق إلا قصبتها لمن يرد من العمال (٢١).

ولقد أعطانا ابن الاثير مزيداً من التفاصيل عند حديثه عن هذه الحملة وأوردها على النحو التالي: " وفيها عاود أهل ماردة من بلاد الاندلس الخلافة على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ، وسبب ذلك انهم خالفوا قديماً على ابيه ، فظفر بهم وتفرق كثير من اهلها ، فلما كان الان تجمع اليها من كان فارقتها ، فعادوا الى الخلافة والعصيان ، فسار محمد اليهم وحصرهم ، وضيق عليهم ، فانقادوا الى التسليم والطاعة ، فنقلهم ومواليهم إلى قرطبة وهدم سور ماردة ، وحسن بها الموضع الذي كان يسكنه العمال دون غيرهم . (٢١) "

اما الاسقف روديجو الطليطلى Rodrigo de Tolido فقد أشار الى هذه الاحداث ضمن حديثه عن حوادث عام ٢٤٨ هـ وهو تاريخ لا يمكننا القبول به (٢٢) .

عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م .

إذا طالعنا ابن خلدون وجدنا عنواناً بارزاً يقول : أخبار الثوار وأولهم ابن مروان بطليوس واشبونه " وتحت هذا العنوان يكرر نفس الكلمات السابق الإشارة اليها تقريباً في ص ١٣١ والتي جعل خروج الامير محمد الي ماردة في عام ٢٥١ هـ وقتلنا بخطأ هذا التاريخ ، فهنا يعود ابن خلدون ليبين ان التاريخ هو عام ٢٥٥ هـ ، ثم ينتقل بعد ذلك مباشرة الى الحديث عن أحداث وقعت عام ٢٦٣ هـ على ماسنيين فيما يلي من الصفحات (٢٣) .

عام ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م .

يروى لنا ابن الاثير عند حديثه عن هذه السنة " وفيها هرب بن مروان الجليقي من قرطبة ، فقصده قلعة الحنش فملكها وامتنع بها ، فسار اليه محمد صاحب الاندلس فحصره ثلاثة

اشهر ، فضاق به الامر حتى أكل نوابه فطلب الأمان فأمنه محمد فسار به الى مدينة بطليوس^(٢٤).

ولقد أكد بن عذارى هذه الرواية وان أضاف اليها بعض التفاصيل وروايته جاءت على النحو التالي " وفي سنة ٢٦١ هـ هرب بن مروان الجليقي من قرطبة مع رجال ماردة المنزلين منها ، واستقر بقلعة الحنش فغزاه الأمير محمد ، وحاصره حصاراً قطعاً وضيق عليه مدة من ثلاثة اشهر الجاه فيها إلى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء ، ورماه بالمجانيق حتى أذعن ، وطلب الأمان وشكى ثقل الظهر ، وضيق الحال ، فأباح له الأمير محمد الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهي يومئذ قرية ، فخرج اليها وقفل عنه^(٢٥) .

- يقول ابن سعيد نقلاً عن ابن حيان " ذكر بن حيان ان الذي احدث هذه المدينة (بطليموس) وكان أول بان لها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، وكان ابتداء حملاته على سلاطين بنى أمية سنة إحدى وستين ومايتين فوارثها ولده^(٢٦) .

عام ٢٦٢ هـ / (اكتوبر ٨٧٥ الى سبتمبر ٨٧٦ م) .

وعن هذه السنة يروي ابن الاثير قائلاً : وفيها سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر في جيش الى الجليقي ، وكان بمدينة بطليوس ، فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر فحصر فيه ، وكثر القتل في أصحابه في شوال .^(٢٧)

أما بن عذارى فقد روى أحداث هذه الحملة بتفصيل اوسع فيقول : وفي سنة ٢٦٢ خرج المنذر بن الأمير محمد إلى بن مروان ، وكان القائد هاشم بن عبد العزيز ، وهو الذي كان سبب هروب بن مروان ، لأنه قال له من بين الوزراء " الكلب خير منك " وأمر بصنع قفاه ، واستبلغ في خزيه ، فهرب مع أصحابه ، وذلك في خبر طويل^(٢٨) . ، وكان ابن مروان قد ابتنى بطليوس حصناً ، وجعله موطناً ، وأدخل فيه أهل ماردة يوغيرهم من أهل المكانفة له على الشر . فلما انتهى الى بن مروان تحرك العسكر اليه ، تنقل عن بطليوس وحل بحصن كركر Alburquerque واجتمع أهل ماردة اليه فيه ، فنزل العسكر بمقربة من الحصن ، وكان

هاشم قد بعث إلى منت شلوط Mont salud خيلاً ورجلاً لضبطه ، وكان سعدون الرماری قد دخل الى بلاد الشرك مستمداً فجاء بمدد من المشركين ، وأظهر انه فى قلة ، فكتب بذلك عامل حصن منت شلوط إلى هاشم فرأى هاشم أن ذلك فرصة فى سعدون ، فبادر بالخروج من العسكر على غير تعبئة ولا أهمية فى خيل قليل ، وأفحص هاشم وحاوز الوعر ، وابتعد عن العسكر ، فأخذت المضايق عليه ، وناشبه القتال ، فأخذته جراح ، وقتل من أصحابه جماعة ، وأسر هاشم المذكور ، ولما اتصل خبر هاشم بالامير محمد وقع فى جانبه يقال : " هذا امر جناه على نفسه بطيشه وعجلته " ثم رد ولده عوضاً عنه وحصل هاشم اسيراً بيد بن مروان الذى صفعه فى أسره فى قرطبة ، فبره بن مروان وأكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه بما فعل معه (٢٩) .

يروى بن الخطيب هذه الاحداث ولكن بتفصيلات أقل ، ومما يلفت النظر فى روايته تسميته بن مروان بمحمد بدلاً من عبد الرحمن كما نلاحظ انه يذكر لقب سعدون " السرنباقي " بدلاً من " السرنباقي " على ما جاء عند غيره من المؤرخين .

تناول بن القوطية هذه الاحداث دون ان يحدد لها تاريخاً ، كما اورد مزيداً من التفاصيل مثل قوله : وأسر هاشماً ، وقتل حوله من أشراف الموالى والعرب خمسون رجلاً ، ورفعاه إلى الفنش فاقتدى منه بمائة الف وخمسين الفاً (٣٠) . وسوف تحدد سنة فداء هاشم من أسره فيما بعد .

وبعد ذلك يواصل ابن القوطية روايته عن الأحداث والتي أرى انه من الصعب علينا التاكيد منها وهى كما يلى : ثم ظهر بن مروان ظهوراً ، صار بذلك رئيس المولدين فى الغرب ، وصار السرنباقي تابعاً له ، وخرج بعد قفول العسكر عنه فى جيش عظيم فبلغ الى كورة اشبيلية ، وتوسط اعمالها ، وغنم حصن طلياطة بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لبلة ، ثم دخل اكشونية وضبط بها جيلاً يقال له منت شافر فجبل الغرب كله ، وأفسده ، فلما طال غم الامير محمد به وجع اليه أميناً فقال له : يا هذا ، قد طال غمنا بك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك ، فقال له : مذهبى أن يباح لى البشرىل أبتنيها ، وأمدنها ، وأعمرها ، وأقيم الدعوة ، ولا تلزمنى جباية ،

ولا طاعة فى أمر ولا فى نهى ، والبشرىل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر .

فأجيب الى ان يبنى بطليوس دون النهر ليكون فى حزب الاسلام على ماشرطه ففعل وصفت طاعته ، إلى ان طمع هاشم فى أخذ الثأر فيه ، وقال للأمير محمد : إنما كان تعاصى امر ابن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم ينتقلون من موضع الى موضع ، وقد صار الساعة فى مدينة وودر وقصور ويساتين محيطة بها ، فنخرج اليه ، فإنى أرجو ان يظفرنا الله به ، ويخرج معي الولد عبد الله ، فقد كان لابن مروان اليه انحراف عند كونه بقرطبة ، فخرج الى اشبيلية ثم انتقل الى لبلة .

فلما بلغ ابن مروان الخبر ادرك الامر بعقله وذكائه ، فكتب إلى الامير محمد : بلغنى ان هاشماً خرج الى جهة الغرب ، ولست أشك انه قد أطمعه فى أخذ الثأر منى كوفى فى حصن وغلق ، وبالله لئن جاز لبلة إلى لأضرم بطليوس بالنار ، ثم أعود إلى حالى الأول معك فلما قرأ محمد كتابه أمر بصرف الولد ، وصرف هاشماً من الطريق فانصرفا (٣١).

سنة ٢٦٣ هـ (٢٤ / ٩ / ٨٧٦ إلى ١٣ / ٩ / ٨٧٧ م)

يقول ابن عذارى : وفى سنة ٢٦٣ ، خرج المنذر بن الامير محمد ، وجعل طريقه على ماردة فلما انتهى ذلك الى بن مروان زال عن بطليوس ، واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم فخرّب ديارها ، وتقدم بن مروان الى بلاد العدو (٣٢) .

ويروى ابن خلدون عن نفس هذه الغزوة التى قام بها الأمير المنذر بن محمد ولكنه أضاف " وفى سنة ثلاث وستين أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب وجعل طريقه على ماردة وكان بها ابن مروان الجليقى ، ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جمع من المشركين استظفر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرهم (٣٣) " .

ويضيف ابن الاثير بعض التفاصيل ذات الأهمية " وفيها - أى فى سنة ٢٦٣ - سير محمد صاحب الأندلس ابنه المنذر فى جيش كثير ، وجعل طريقه على ماردة ، فلما جاز ماردة إلى

أرض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع من المشركين قد استظهر فاقتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقي ومن معه من المشركين على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلهم عن آخرهم و أكرمهم الله بالشهادة (٢٤) .

سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧/٩/١٣ إلى ٨٧٨/٩/٣ م) .

يشير ابن عذارى إلى أنه في هذه السنة قد انطلق هاشم من الأسر (٢٥). وأشار إلى ذلك أيضا ابن الخطيب مع بعض التفاصيل الإدارية وبعض الإشارات إلى سجايا هشام .

وعن أسر هاشم بن عبد العزيز وفديته تحدثت أيضا بتفصيل جيد المصادر والمدونات النصرانية ، ومن هذه المدونات المدونة المعروفة باسم Cronicon de SamPiro

حيث يقول أنه في عهد الملك الفونسو الثالث سقط في الأسر جنرال أندلسي وهو في ذات الوقت وزير يسمى أبا خالد Abokalit ، ولقد حمل هذا الأسير إلى الملك وظل عنده إلى أن دفع مبلغ مائة ألف قطعة في مقابل إطلاق سراحه .

مزيد من التفاصيل حول هذا الحادث نقرأه في المدونة المعروفة باسم المدونة البلدية Cronica Albeldense حيث تقول : أنه قدم إلى الملك في مدينة أوفيدو Oviedo ، وأنه قد تخلص من الأسر بعد أن قدم رهينتين أخوين أحدهما إبنة وآخر ابن شقيقه حتى دفع فدية إلى الملك مائة ألف قطعة من الذهب .

ويبدو لنا من نص المدونة البلدية أن أسر الوزير هاشم أو أبو خالد ، وليس فداؤه هو الذي كان في حدود هذا التاريخ ، حيث تنص المدونة على أنه

Era 915 Consul Spaniae et mahomat Regis Consiliarius Abuhalit bello in fines Galleciae Capitur"

وإن كان من المؤكد أن هذا ليس دقيقا تماما

وفى نفس عام ٢٦٤ هـ توجهت حملة بقيادة البراء من مالك ودخلت إليها من باب قلنبرية إلى جليقية بحشود الغرب وتردد هنالك حتى أذهب نعيمهم (٣٦).

سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨/٩/٣ إلى ٨٧٩/٨/٢٣ م) .

تم فداء هاشم بن عبد العزيز من أسر الملك الفونسو ، أو من أسر ابن مروان على حد قول ابن خلدون (ص ٤ ، ص ١٣٣) وتم توقيع الصلح على شرط عودة ابن مروان للإقامة في بطليوس ، وهو ما حدث بالفعل في هذا العام ، ولقد قام ابن مروان بإعادة تحصين المدينة وبناء أسوارها ، وعندئذ عاد مرة ثانية إلى العصيان وأعلن استقلاله بالمدينة ، وكان قد سبق أن تغيرت علاقاته مع الفونسو ، وأعلن الحرب عليه ، وغادر ابن مروان دار الحرب إلى مكان يسمى أنطانية Antena من أحواز مدينة ماردة وقام بتحسينها بعد أن كانت ركاما ، واستولى ابن مروان على كل الأراضي التي كانت تابعة لمنطقة " اليون Leon " وكذلك الأراضي التي كانت خاضعة لمملكة جليقية Galicia وضم ذلك كله إلى ملكه في بطليوس حيث ضغط عليه الأمير عبد الله لينتقل إلى هناك .

ولقد كان مع ابن مروان في دار الحرب سعدون السربنيقي ، وهو رجل شجاع ومحارب عنيد ، وسبق له أن تمرد مع ابن مروان ، حينما استقر عبد الرحمن في باجة Beja تم تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على قلعة وأعلن استقلاله عن كلا الامبراطوريتين حتى انتهى الأمر بمقتله في إحدى معاركه مع الملك الفونسو .

ولقد أورد ابن حيان بيانات أكثر تفصيلا عن السربناقي فقال : سعدون بن فتاح السربناقي ، صاحب عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، ونظيره في التمرد واللعنة والاجتراء على السلطان والخروج من الجماعة ، وكان من أبطال الرجال وفتاكهم ، وأولى المكر والدهاء والرجولة فيهم ، بفلوات أرضه وطرفها دليلا ماهرا داهية . انتزى على السلطان بحصن فقبروا

له ما بين وادى تاجة بمدينة قلنبرية ، جرت له خطوب عظيمة واسرته المجوس الخارجون بساحل الأندلس الغربى أيام الأمير محمد ففداه منهم بعض تجار اليهود يبتغى الربح معه فقارض اليهودى إلى أن هرب عنه وأخفر ذمته وأخسره ماله ، وداخل الجبل الذى ينسب إليه بين قلنبريه وشنترين فعث فى أهل الملتين المسلمين والنصارى ، وجرت له خطوب عظيمة إلى أن قتله إذ فنش الطاغية صاحب جليقية (٣٧).

وفى عهد الأمير محمد ثار رجل يسمى محمد بن تاكيت وهو من قبائل مصمودة ، وتوجه إلى ماردة التى كان يقطنها فى ذلك الحين بعض الجند من العرب وبعض الناس من قبيلة كتامة ، وتمكن ابن تاكيت من طردهم منها بحيلة بارعة ، واستقر بها مع جماعته من المصامدة . ويقول ابن خلزون عن ابن تاكيت : كان محمد بن تاكيت من مصمودة وثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد ، وزحف إلى ماردة ، وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فاعمل الحيلة فى إخراجهم منها ونزلها هو وقومه مصمودة ، ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحف إلى العساكر من قرطبة ، وجاء عبد الرحمن بن مروان من بطليوس مددا له فحاصروهم اشهرًا ثم اقلعوا ، وكان بماردة جموع من العرب ومصمودة وكتامة فتحيل محمد بن تاكيت على العرب وكتامة واقاربهم فاخرجهم واستقل بماردة هو وقومه ، وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرتة عليه وحاربه وهزمه ابن مروان مرار كانت احداها على لقنت استلحم فيها مصمودة فقصت من جناح ابن تاكيت ، واستجاش بسعدون السريناقى صاحب قلنبرة قلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم ، وتوثق امره وطلبه ابن حفصون فى الولاية فامتنع ، ثم هلك اثر ذلك فى سنة ... أيام الأمير عبد الله وولى ابنه عبد الرحمن بن مروان ، وأثنى فى البرابرة المجاورين ، وهلك لشبهريين من ولايته فعقد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب ولحق من بقى من ولد بد الرحمن بحصن شونة ، وكانا اثنين من اعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد وعمهما مروان ، ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن . ثم اضطرب الأميران ببطليوس وتنازعا ،

وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطليوس ، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله وملك بطليوس واستفحل أمره والمعجل له الأمير عبد الله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له ، وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة ، ثم اصطالحوا وأقاموا جميعا طاعة الأمير عبد الله ، ثم تحاربوا واتصلت حروبهم إلى آخر دولته (٢٨).

سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤/٦/٢٩ إلى ٨٨٥/٦/١٨)

يذكر ابن خلدون بعد أن روى أحداث عام ٢٧١ هـ أن هاشما قد سار لمحاربة عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة مونت مولين Mont Molin ، ولكنه عاد مسرعا إلى قرطبة ، ولقد خرج ابن مروان من قلعة مونت مولين ، وهاجم اشبيلية وبلدة فوينتيس دي كانتوس Fuentes de Cantes ، واستقر بعد ذلك في حصن مونت سالود Mont Salud ، حيث دافع عن نفسه قوات الأمير التي اضطرت إلى عقد الصلح مع ابن مروان الذي ظل ساكنا إلى الطاعة حتى وفاة الأمير محمد (ج ٤ ص ١٣٤) (٢٩).

وفي حوادث هذه السنة عند ابن الأثير يقول : سير محمد صاحب الأندلس جيشا مع ابنه إلى مدينة بطليوس ، فزال عنها ابن مروان الجليقي وكان مخالفا كما ذكرنا ، وقصد حصن أشير غرة فتحصن ، وأحرق المنزر بطليوس (٤٠).

سنة ٢٧٢ هـ (٨٨٥/٦/١٨ إلى ٨٨٦/٦/٨)

يعود ابن الأثير مرة أخرى إلى الإشارة إلى قلعة أشير غرة حين حديثه عن عام ٢٧٢ فيقول : وفيها سير صاحب الأندلس إلى ابن مروان الجليقي ، وهو بحصن أشير غرة ، فحصره ، وضيقوا عليه (٤١).

ويشير ابن عذارى إلى ذات الغزوة ، لكنه يحدد قيادتها فيقول : وفي سنة ٢٧٢ خرج عبد الله بن الأمير محمد ، والقائد هاشم بن عبد العزيز ، وقصد الغرب إلى ابن مروان وهو بجبل "

اشبر غزة " فنازله وحاربه " . (٤٢)

سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩/٥/٦ إلى ٨٩٠/٤/٢٥ م)

رغم ان ابن مروان كان قد اعلن طاعته للأمير عبد الله ، وان الامير قد اعترف له بدرجة من السيادة على بطليوس إلا أنه كان مستعدا دائما للخروج عن طاعته ، ونهب الاقاليم المجاورة له ، ومن ثم حينما قام بربر ماردة بالاغارة على مدينة أشبيلية ولم يعترضهم أحد حتى عابوا وقد ملئت حقائبهم بالغنائم ، فرجعوا صابرين عن أشبيلية ، وقد فقدوا خلقا كثيرة من أهلها ، قام عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، فأقبل بعسكره من بطليوس حتى نزل قرية مورة من اقليم البر المذكور ، على ثلاثة فراسخ من الحاضرة ، فشن الغارة عليها وعلى ما حولها ، وأقام أياما أيضا فظهر عجز السلطان ، وبان وهنه ، ومقتته الرعية ، وقويت أطماع أهل الشر في كل جهة (٤٤) .

يشير بان الخطيب إلى ثائر آخر ممن تمردوا في هذا الوقت في باجة بأرض الغرب اسمه عبد الملك بن أبي الجوا فيقول : اقتعد مدينة باجة وتحصن بحصن " ماقلة " ، وله حظ من صنعة تشييد وعدة ، وكان قائما بدعوة المولدين معاقدا لابن مروان صاحب بطليوس ، وابن بكر صاحب اشكونة ، فكانوا البيا على من خالفهم ، ويدا على من خرج عنهم (٤٥) .

ويشير أيضا إلى ثائر آخر في مدينة سنت مرية Santa Maria اسمه ابو بكر بن يحيى ، ويسميه ابن عذارى بكر بن يحيى بن بكر ، ويقول عنه وثار بكر بن يحيى بن بكر ، واقتعد مدينة سنت مرية من كورة اكشونية Osonva وبنائها حصنا اتخذ عليه ابواب حديد ، وكان له ترتيب واهمية ، ورجال شجعان وعدة موفرة ، وكان يتشبه - بزعمه - في سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وكان له أصحاب للرأى ، وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السبيل ، وقراء النزيل ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه (٤٦) .

ويزيدنا ابن حيان فى معلوماتنا عن ثورة شنت مرية Santa Maria فى غرب الاندلس ، فلا يقتصر على مجرد اعطائنا المزيد من المعلومات عن ذلك الشخص المسمى بابى بكر ، وإنما يقدم لنا معلومات هامة عن والده وجده فيقول : " اقتعد مدينة شنت مرية من الكورة اشكونية ، وبنائها ، واتخذ عليها ابواب حديد ملبسة عجبية الصنع ، وكان ترتيب واهبة ورجال شجعان وعدة موفرة ، وكان يتشبه فى سلطانه بابراهيم ابن حجاج ، وله أصحاب للرأى وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد إلى جميع من فى طاعته باضافة ابناء السبيل ، وقرى النزال ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك فى ناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه .

وقال ابن النظام : يحيى بن بكر بن زلف المنتزى بكورة اشكونية ، القائم بدعوة المولدة ، كان جده زلف أعجميا مولى لبكر بن نجاد الأورى ، سمى ولده باسم موله . فانجبت ولادته وسعت همته ، فثار ابن ابنه يحيى بن بكر أبان ثورة المولدين ، أخريات الامير محمد ببلده وتغلب على مدينة شنت مرية باشكونية ، وجمع الرجال ، واستغلظ أمره إلى أن غلب على جميع كورة أشكونية Osonva .

توفى ابنه يحيى بن بكر فاظهر الانحراف إلى الطاعة ولاطف الأمير عبد الله بن محمد فولاه على بلده فاستوطن مدينة شلب Silves وسط الكورة وعمرها ، وقويت شوكتها بالرجال ، وهو فى ذلك مقيم على رأيه ورأى أهل بيته فى عصبيته للمولدين والعجم وانحرافه عن العرب ، يواصل على ذلك حلفاءه من أهل الجليقى ببشتر واشكالهم ويواليهم ولا يقطعهم إلى أن هلك فى صدر دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (٤٧).

أما ثائر باجة الذى يسميه ابن الخطيب بعيد الملك بن ابى الجوار يسميه ابن عذارى عبد الملك بن أبى الجواد ويقول عنه أنه " اقتعد مدينة باجة وملكها وتحصن بحصن مارتلة بوله حظ من المنعة تشييدا وعدة ، وكان معاقدا لابن مروان صاحب بطليوس فى هذا التاريخ ، وابن بكر صاحب اكشونية ، فكانوا متآلبين على من خالفهم (٤٨).

ويؤكد ابن حيان رواية ابن عذارى (٤٩) . وخاصة فيما يتعلق باستقراره فى باجة ، ومع اختلاف بسيط فى التسمية ، ولم يذكر تاريخا لهذه الاحداث مثلما هو الحال عند سابقيه .
فى حدود هذا التاريخ تقريبا يمكننا الاعتقاد بانه يشير إلى وفاة عبد الرحمن بن مروان .
فى بطليوس ، وإعلان ابنه مروان حاكماً من بعده ، وموت مروان هذا بعد شهرين بعد
الاحداث التى سبقت الاشارة اليها على أنها اعقبت احداث عام ٢٦٥ هـ .

سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ / ٢٨ الى ٨٩٩ / ١ / ١٧ م)

يقدم كل من ابن عذارى وابن حيان بعض المعلومات بآئه فى عام ٢٨٥ هـ خرج عباس بن
عبد العزيز القائد الى كركى وجبل البرانس فوطىء تلك الجهة ، وقتل ابن يامين وابن ماجول
من اعلام المخالفين وأخذ حصونها (٥٠) .

سنة ٢٨٦ هـ (٨٨٩ / ١ / ١٧ الى ٩٠٠ / ١ / ٧ م)

سبقت الاشارة الى ان مروان بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى قد وافته المنية فى حدود
عام ٢٧٦ هـ بعد شهرين فقط من وفاة والده ، وأن الأمير عبد اله قد اعطى حكم بطليوس
الى قائدين عربيين ، ولكن ما اسرع ما دب بينهما الخلاف ، وقتل احدهما الآخر ، وبقي فى
السلطة وحده ، ومن المحتمل انه اعلن استقلاله ، على الاقل من الناحية الفعلية ، لان المؤلفات
تشير الى انه فى حدود عام ٢٨٦ هـ ، قام الأمير بالاستيلاء على المدينة وقتل النثر ييها .

سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ / ١٢ / ٢٦ الى ٩٠١ / ١٢ / ١٦ م)

تسجل المصادر انه فى العاشر من شهر رجب من سنة ٢٨٨ هـ او العاشر من يوليه عام
١٩٠١م وقوع معركة بين المسلمين والنصارى بالقرب من مدينة زامورا Zamora ويسمىها ابن
حيان " يوم زامورا " وقد لقي جيش المسلمين فى هذه المعركة هزيمة قاسية ولم يكن هذا
الجيش من قوات الحكومة القرطبية بل من جنود متطوعة قام بتحسيسها احد الفقهاء المسلمين

والذى قاد الجيش على أمل القضاء نهائياً على المسيحيين^(٥١).

والى هذه المعركة الكبيرة أشارت أيضاً المصادر النصرانية ، لكن ابن حيان هو الذى قدم لها وصفاً دقيقاً ومسهباً استفاد منه دوزى Dozy استفادة كثيرة .

لكن الذى يعنينا حقيقة من هذه المعركة هو ان جموع المتطوعة قد قدمت فى غالبيتها العظمى من مدن بطليوس وماردة وطليلة ، وهى أقاليم يسكن معظمها البربر المسلمون ، ولقد كانوا - علي ما يبدو - أكثر استعداداً وميلاً لقبول الوعظ والارشاد وكلمات الشيوخ والمتنبئين على ما يقول مؤرخنا صاحب كتاب سامبيرون Cranica Sampiron عند تحليله للأسباب التى ادت الى هذه الكارثة .

سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ / ٧ / ٢٧ الى ٩١٥ / ٧ / ١٧ م)

بناء على قول بن خلدون فإنه فى اول المائة الرابعة ملك على الجلائقة أردون من رزمير بن برمند بن قريولة بن أدفونش بن بيطر ، وخرج فى سنة ثنتين وثلاثمائة الى الثغر الجوفى لأول ولاية الناصر ، وعاث فى جهات ماردة واخذ حصن الحنش ، وبعث الناصر وزيره احمد بن عبده فى العساكر الى بلاده فدوخها^(٥٢) .

وفى مدونة سيلوس التاريخية Cronica de silos فإنها تورد التاريخ متأخراً اربع سنوات ومع ذلك يبدو انها تشير الى هذه الحملة التى قام بها اريونيو الثانى Ordonez ، ومن ثم فمن المهم جداً لنا ان نعرف أنه قام تدمير كورة ماردة والاستيلاء على حصن Alanje الذى يطلق عليه Castrum Colubri فإنه يعرف هذه الايام باسم حصن الحنش Alhanze ، وأضاف بانه قد قتل كل البرابرة الذين كانوا يدافعون عن الحصن وأسرت نسائهم وسييت أطفالهم ، وأنه قد استولى المهاجمون على غنائم وافرة من الذهب والفضة وملابس الحرير ، ومع ذلك يضيف فيما بعد ، ان جميع سكان ماردة ، وحاكمها قد خرجوا الى بطليوس بهدايا لا تحصى طالبين السلام ، ولعل فى هذا مبالغة كبيرة جداً مبعثها التعصب الوطنى .

سنة ٣١١ هـ (٢١ / ٤ / ٩٢٣ الى ٩ / ٤ / ٩٢٤ م)

فيما يمكن ان نسميه بحوليات عام ٣١١ نجد ابن عذارى يشير الى قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي ، صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض اهل الموضع فقتلوه (٥٣) .

ولكن هذا النص رغم وضوحه في ذاته فإنه لا يبدو مفهوماً لعدم علمنا بتطورات الاحداث المؤدية اليه ، ويبدو ذلك اذا ما قارناه بما يقوله ابن حيان : ان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن كان رهينة في قرطبة ، وأنه قد منح حكم مدينة بطليوس بعد وفاة جده وعمه ، ويؤكد ذلك ما رأيناه من أنه بعد موت عبد الرحمن بن معاوية خلفه ابنه مروان ، ونقول ذلك بناء على الاختلاف في النص في كتاب بن خلدون في نسخته المخطوطة رقم ٥٠١٩ بباريس ، وهو اختلاف وضع لنا بصورة طيبة ما عجز النص المطبوع من الكتاب عن توضيحه .

سنة ٣١٦ هـ (٢٥ / ٢ / ٩٢٨ الى ١٣ / ٢ / ٩٢٩ م)

يقول ابن عذارى وفيها : خرج احمد بن اياس القائد غازياً الى كور الغرب فافتتح مدينة ماردة ومدينة شنترين بلا حرب ونزلوا اليه بالامان ، ووافاهم غاية الاحسان (٥٤) .

سنة ٣١٧ هـ (١٤ / ٢ / ٩٢٩ الى ٣ / ٢ / ٩٣٠ م)

مات عبد الله بن مروان ، ولاندرى الى من انتقل ميراثه في حكم بطليوس ومن المرجح ان احد افراد هذه الاسرة قد نهض بهذه المهمة ، لأن ابن عذارى يشير في حديثه عن هذه السنة ويقول : وفيها كانت غزاة الناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة اهلها وابن مروان المنتزى عليه فيها ، فبرز رحمه الله لغزاته هذه يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول ، وهو اليوم الثالث والعشرون من نيسان ، ووصل من قصر قرطبة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وهو اليوم الرابع والعشرين من أيار ، وذلك بعد بروزه بأحد وثلاثين يوماً ، وأغزى معه ولى عهده الحكم المستنصر بالله وابنه المنذر وكان احتلاله بالجيش على (مدينة) بطليوس

يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر . وواضعهم الحشم القتال في افنيهم وعلى ابواب دورهم وتحموا عليهم داخل ارياضهم ، وقتلوا منهم في ثانی احتلالهم عليهم جملة بعثت يروؤسهم الى قرطبة وقطعت ثمارهم ، وأحرق ما أخلوه من ديارم خارج سورهم ، وبقوا محصورين في المدينة ، وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً ، ثم أبقي عليهم أحمد بن إسحاق في قطيع من الجند وانتقل الى جهة ماردة ، فأصلح الاحوال بها ، وولاهما محمد بن اسحاق وندب معه عدة من الحشم ، ثم عاد رحمه الله الى مدينة بطليوس ، فاضطربت عساكره عليها من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها أولاً ، وتولى من نكايتهم واليم محاصرتهم ، ماأذاقهم به وبال عصيانهم ، وعاقبة غيهم ، وضلالهم ، ثم أرتب عليهم أحمد بن إسحاق قائداً في جيش كثيف ، ورجال منتقين ، وعدد كاملة وامره بالتشدد في حصرهم والاستبلاغ في مضايقتهم ، وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة ، فنزلها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة واضطربت عساكره عليها ، وتقدم بالاعذار الى عبد الرحمن بن سعيد بن مالك الذي كان بها ودعاه الى الطاعة فلاذ والتوى فنصبت المجانيق عليه وحورب أشد محاربة وقتل من رجاله عدد كثير وانحطت بعض ابراج المدينة بمن كان عليها فضربت رقابهم بين يدي المظل ، فاستأمن عبد الرحمن بن مالك واهله وجميع أهل باجة امير المؤمنين (الناصر) وخضعوا لأمره ونزلوا على حكمه ، فلوّسهم أمانة ، وأخرجوا عن المدينة ونقلوا الى قرطبة ودخلها الناصر وولاهما عبد الله بن عمر بن مسلمة ، وندب معه فيها قوة واكثف له الجمع والعدة وامره بابتناء قسبة فيها ينفرد بها العامل ويسكنها .

وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً . ثم انتقل منها قاصداً الى مدينة اكشونة بقرب الساحل الغربى من البحر المحيط ، فاحتل بها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وكان قد افتتح في طريقة حصن الوقاع ، وأصاب فيه لخلف بن بكر صاحب أكشونة أموالاً وعدة وسلاحاً ، فغنم ذلك الحشم وأهل العسكر وصار لهم نفلاً ثم تلقى رسل خلف بن بكر امير المؤمنين ، مظهراً للإنبابة وملتزماً للطاعة ، ومتوسلاً ببعد الدار والقاصية ، وأخرج الى

الناصر النزال ، وأقام له الوظائف والتزام إدار الجباية الكاملة ، وأظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة شديدة ووصفوه بسيرة حميدة ، فأقره الناصر عليهم ، وفرض عليه من الجباية ما التزم إيراده له فى كل عام ، وعهد اليه بحسن السيرة والرفق بالرعية والا يقبل نازعاً ولا يكتنف هارباً ، فالتزم جميع ما أمر به ووقف عند ما حد له وقف الناصر عن مدينة أكشونبة يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ودخل القصر بقرطبة يوم الاحد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب وقد استتم فى غزاته ثلاثة وتسعين يوماً (٥٥) .

لقد اتخذ عبد الرحمن الناصر لقب امير المؤمنين عام ٣١٦ هـ واخضع يفى زمن قصير جميع الثائرين والمتمردين الذين زعزعوا عرش بنى امية على عهد الحكام السابقين ، يمكن لنا القول الآن ان اسبانيا الاسلامية قد وصلت فى هذه الاعوام الى وحدة قوية لم تتمتع بها أبداً من قبل وان لم تدم هذه الوحدة طويلاً ، حيث لم تعمر الا اقل من قرن من الزمان .

فرانسيسكو توديرة

هوامش الترجمة

١ - المخطوط العربي في اكاديمية التاريخ بمدير رقم ٨٠ الورقة ٢٦٧ .

ابن الاثير : الكامل في التاريخ - طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ج ٥ ص ١٩٥

٣ - يروى لنا ابن الاثير في ج ٥ ص ١٢٥ عند حديثه عن عام ١٩١ هـ كيف تمردت مدينة ماردة تحت قيادة اصبيغ بن عبد الله وكيف وافقه اهل ماردة واخرجوا عامله واتصل الخبر بالحكم فصار اليها وحاصرها ، فبينما هو مجد في الحصار اتاه الخبر عن قرطبة انهم اعلنوا العصيان له فرجع مبادراً ، فوصل قرطبة ولم يزل اهل ماردة تارة يطيعونه ومرة اخري يعصون الى سنة اثنتين وتسعين ، فضعف امر صبيغ لان الحكم تابع ارسال الجيوش اليه واستعمال جماعة من اعيان اهل ماردة وثقاته من أصحابه فمالوا اليه وفارقوا أصبيغ حتى اخوه ، فتحير اصبيغ وضعفت نفسه ، فأرسل يطلب الامان فأمنه الحكم ففارق ماردة ، وحضر عند الحكم ، وأقام بقرطبة .

٤ - هكذا اورد قوديره النصر باللغة العربية ضمن بحثه الاسباني .

٥ - مدينة منية هي مدينة Valencia de Mino في احواز البرتغال حالياً .

٦- ابن الاثير : الكامل في تاريخ ج ٥ ص ٢١٧

٧ - انظر ص ١١ و ص ١٢ من النص الاسباني نقلاً عن مخطوط الاكاديمية الملكية للتاريخ رقم ٨٠ الورقة ٢٧٣ .

٨ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٨٣ .

٩ - مجهول اخبار مجموعة ص ١٢٤ - ١٢٥ .

١٠ - تقع هذه القلعة بالقرب من بلدة Mino.

١١ - اشار الكاتب الى مقتل عدد كبير من الاسرائيلين ، ولعله يقصد بعض اليهود ممن كانوا يناصرون محمود بن عبد الجبار ، اما تعبير " البرابرة " فيقصد بهم هنا كل الذين كانوا يناصرون محمود بن عبد الجبار من المسلمين او النصارى او اليهود من سكان المنطقة .

١١ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢١٩ .

١٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٨٤

١٣ - لم يشير المؤلف هنا الى انه فى عام ٢١٧ هجرية حوصرت ماردة ، وضيق عليها حتى فر عنها يخلق كثير ، وقتل منهم كثير (ابن عذارى ج ٢ ص ٨٣)

١٤ - ابن عذارى - البيان المغرب ج ٢ ص ٨٥

١٥ - الصننى بغية الملتبس الترجمة رقم ١٠٥٤

١٦ - ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١٣٥ . وأوردت الترجمة الاسبانية هذا النص عند ذكر ابن مروان فى المصادر مشيرة الى ان النص ورد بدون تحديد تاريخ بينما الواقع انه حدده بعصر الامير عبد الله بن محمد أى بعد عام ٢٧٥ هـ (المترجم)

١٧ - ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠٠ - ١٠١ .

١٨ - ابن حيان المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، طبعة بيروت ١٩٧٣ صفحة ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، وتعتبر ترجمة ابن مروان عند ابن حيان من أكثر النصوص التي وردت فى المصادر العربية ولكن هذا المخطوط - يبدو - انه لم يكن متيسراً امام قوديرا حين كتابة هذا المقال .

١٩ - اقرأ رواية ابن حيان عن لجوء ابن مروان الى الملك ادفونس ملك اشتوريس حيث يرويها

نقلًا عن الرازي في كتابه المقتبس ، تحقيق مكى ، ص ٣٧٩ وما بعدها .

٢٠ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٣١ ولذلك ص ١٣٣ .

٢١ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٠ ، وأورد ابن حيان تلك الرواية في المقتبس تحقيق مكى - ص ٣٢٢ مضيفاً الى ذلك بعض التفصيلات

٢٢ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٣٩ .

٢٣ - انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٣ وقارن بينها وبين روايته الواردة في ص ١٣١ من نفس المجلد (المترجم) .

٢٤ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٧ .

٢٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ص ١٠٢ ، ويورد ابن حيان رواية اكثر تفصيلاً عن هروب ابن مروان الجليقي واصحابه من سجنهم في قرطبة سنة ٢٦١ هـ فيقول : وكان عبد الرحمن بن مروان قد ظاهر اصحابه المنتزين معه عند فرارهم من قرطبة على ان يكون اجتماعهم بحصن الثلج وان يكون منه ظهورهم ، فانكمشوا لترحالهم وخرجوا من قرطبة متفرقين في اوقات مختلفة وعلي طرق شتى ، فلما اجتمعوا بالحصن المذكور اظهروا الخلاف عشى يومهم ، وعقدوا موكبهم ، ونشروا علمهم ، واشاعوا ان الامير محمدا قد مات وان لاطاعة عليهم وخرجوا بجمعهم فشنوا الغارة على كل من لقوه والناس بغرة (انظر المقتبس المشار اليه ص ٢٤٧ وفيه المزيد من التفاصيل) (المترجم)

٢٦ - ورد النص عند ابن حيان ضمن شروط اشترطها ابن مروان على الامير محمد ، وشروط ان ينزل ببليوس - قاطبة الغرب - يبينها لنفسه ومن معه ويدعو فيها للأمير محمد لا يلتزم من طاعته شيئاً غير ذلك ، فأجيب الى ذلك ، وتم له النزول ببليوس والاستقرار مديدة (ابن حيان السفر المشار اليه ص ٣٤٥)

- ٢٧ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج - ٦ ص ١٤
- ٢٨ - سبق ان اشرت الى هروب ابن مروان من قرطبة نقلاً عن ابن حيان (المترجم)
- ٢٩ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣
- ٣٠ - ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠١
- ٣١ - ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص ١٠٢
- ٣٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٣
- ٣٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٣١
- ٣٤ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٧ ص ١٥ - ١٦
- ٣٥ - ابن عذارى : البيان بالمغرب ج ٢ ص ١٠٣
- ٣٦ - ابن عذارى : البيان بالمغرب ج ٢ ص ١٠٣ وكذلك وردت هذه الرواية عند ابن حيان فى المقتبس ، النسخة المشار اليها ص ٢٨٥ . (المترجم)
- ٣٧ - نقلت هذا النص الواضح المفصل من أحدث طبعات السفر الثالث من مقتبس ابن حيان تحقيق الدكتور اسماعيل العربى ومن منشورات دار الأفاق الجديدة بالمغرب ، الطبعة الاولى ١٩٩٠ م ص ٢٤ (المترجم)
- ٣٨ - لم يكن النص الاسباني متسقاً فنقلنا نص ابن خلدون حول ابن تاكيت والمنطقة وهو ما كان يترجمه قوديره ، وأرجعته هنا الى الاصل المنقول منه ، انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٣ (المترجم)
- ٣٩ - لم اجد هذا النص عند ابن خلدون لا فى الصفحة المشار اليها ولا فى غيرها .

- ٤٠ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ٥٩
- ٤١ - ابن الاثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٦٠
- ٤٢ ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١٠٥ ويلاحظ هنا الاخذ بقراءة اخرى لاسم الحصن ، مع وجود التسمية الاخرى اشير غرة فى واحدة من المخطوطات (المترجم)
- ٤٣ - ابن حيان : المقتبس ، السفر الثالث ، تحقيق د . اسماعيل العربى ، ص ٧٥
- ٤٤ - نفس المصدر ص ٩٢ - ٩٣
- ٤٥ - ابن حيان : المقتبس ، السفر الثالث ، ص ٣٣ : نقلت النص من عند ابن حيان لأننى لم اتعرف على المصدر الذي ينقل منه من مؤلفات ابن الخطيب ، وانظر ايضاً البيان المغرب ج ٢ ص ١٣٥
- ٤٦ - اثبت النص الذى اورده ابن عذارى فى ج ٢ ص ١٣٧ لأنه النص الذى اقتبسه المؤلف فى ترجمته الاسبانيه
- ٤٧ - ابن حيان : المقتبس - السفر الثالث ، ص ٣٤
- ٤٨ - ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٣٥
- ٤٩ - من الواضح ان ابن عذارى هو الذى ينقل عن ابن حيان وان كان الاسم عند ابن حيان عبد الملك من أبى الجوا فهو عند ابن عذارى ابن أبى الجواد ٥٠ ابن حيان : المقتبس - السفر الثالث . ص ١٤٩ .
- ابن حيان : المقتبس - السفر الثالث . ص ١٤٩
- ٥١ - اورد ابن حيان نصاً مطولاً ومفصلاً عن يوم سامورة وعن الداعي المعروف بابن القط القرشى الذى خرج على الامير عبد الله ودعا الناس للجهاد ومحاولة تحرير مدينة

سمورة من أيد النصارى لخطرهما على بلاد المسلمين ، وكيف استجاب له عشرات الآلاف لكنه لقي الهزيمة لما كان بين أصحابه من خلاف فبعد ان أصبح النصر له قاب قوسين أو أدنى فاذا ببعض القبائل البربرية تحسده على ذلك ، ونفر من المعركة لكي تقع به الهزيمة ، انظر تفضيلات ذلك في السفر الثالث من مقتبس ابن حيان ص ١٥٥ وما بعدها

٥٢ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤١

٥٣ - ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٨٥

٥٤ - ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٩٨

٥٥ - نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١

المصادر

- ١ - ابن الأثير : ابو الحسن على بن أبي الكرم المتوفى ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .
الكامل فى التاريخ ، طبعة دار الكتاب العربى ببيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م
- ٢ - ابن حيان : ابو مروان حيان من خلف بن حسين بن حيان المتوفى ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م
المقتبس فى تاريخ الاندلس ، السفر الثانى ، تحقيق د. محمود على مكى ،
بيروت ١٩٧٣ .
- السفر الثالث ، تحقيق د . اسماعيل العربى ، دار الافاق بالمغرب ، ١٩٩٠
- ٣ - الخشنى : محمد بن الحارث تاريخ قضاة قرطبة - طبعة الدار المصرية للتأليف
والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ .
- ٤ - ابن خلدون : عبد الرحمن المتوفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ هـ
تاريخ ابن خلدون ، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر ببيروت د . ت .
- ٥ - سالم : الدكتور السيد عبد العزيز
تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس
دار النهضة العربية ببيروت ١٩٦١ م
- ٦ - الشكعة : د . مصطفى الشكعة
المغرب والاندلس : افاق اسلامية وحضارة انسانية ومباحث يادبية - دار
الكتاب المصرى واللبنانى بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ م
- ٧ - الصنيس : احمد بن عميرة المتوفى ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م -

بغية الملتمس ، طبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة ١٩٦٧

٨- ابن عذارى : ابو عبد الله المراكشى المتوفى فى ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م .

البيان المغرب - طبعة دار الثقافة ببيروت د . ت

٩- عيسى : الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

تاريخ التعليم فى الاندلس ، ودار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٢ م

الفتح الاسلامى للاندلس ، مطبعة سعيد رأفت بالقاهرة ١٩٨٥ م .

١٠ - ابن القوطية : ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المتوفى ٣٦٧ هـ - / ٩٧٧ م .

تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق الايبارى طبعة دار الكتاب المصرى القاهرة

القاهرة ١٩٨٢

١١ - مجهول : كتاب اخبار مجموعة تحقيق ابراهيم الايبارى ، طبعة دار الكتاب المصرى

بالقاهرة ١٩٨١ م

١٢ - النباهى : ابو الحسن - تاريخ قضاة الاندلس ، طبعة بيروت د . ت

١٣ - تعنن : الدكتور عبد للجهيد - الاسلام فى طليطلة ، طبعة دار النهضة العربية ببيروت

د . ت .

14 - Diccionario ilustrado de la lengua Espanola , Enciclopedia
Universsal Sopena - Tomo 2madrid 1970 .

مطبوعات قسم العلوم الاجتماعية

بكلية التربية - جامعة عين شمس

القاهرة - ١٩٩٠